الذهنيُ للمتكلمِ باستحضارِ دلالاتِ الكلماتِ ومعالجتِها وضبطِ خصوصياتِها الثقافيةِ والسياقيةِ والتداوليةِ داخلَ ذاكرةِ البعيدةِ المدى، وهوَ مَا يُمثلُه الرسمُ رقم 2.

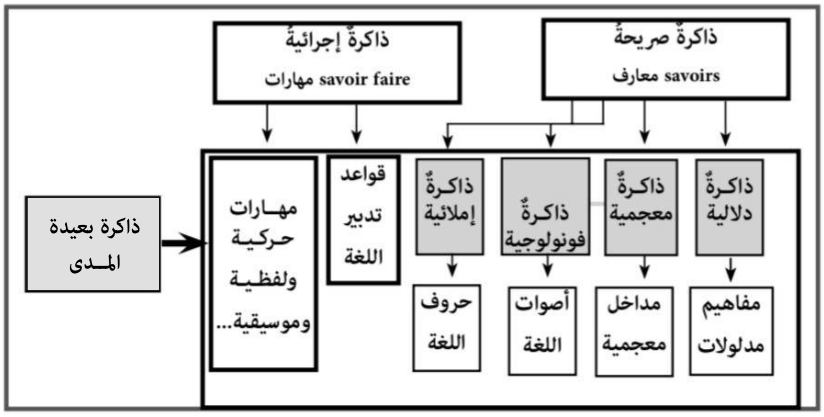

الرسم رقم2: موضع المعجم الذهني ضمن الذاكرة البعيدة المدى وأهم الخصائص المعجمية للوحدات المعجمية (بنعيسى، زغبوش، 2008).

وبمَا أن المعجمَ الذهنيِ هوَ مجموعةٌ منَ المداخلِ والوحداتِ التي تُشكلُ العتادَ الكميِ للمعرفةِ اللغويةِ، التي يجبُ التمييزُ فيهَا مَا بينَ المعرفةِ الواعيةِ المكتسبةِ التي تلَقَّن وتُعلَّمُ، والمعرفةِ غيرُ الواعيةِ الفطريةِ التي لا تكونُ كل مكوناتِها في متناولِ وعيِ المتكلمِ/ المستمعِ أنظر (الرسم رقم 3).

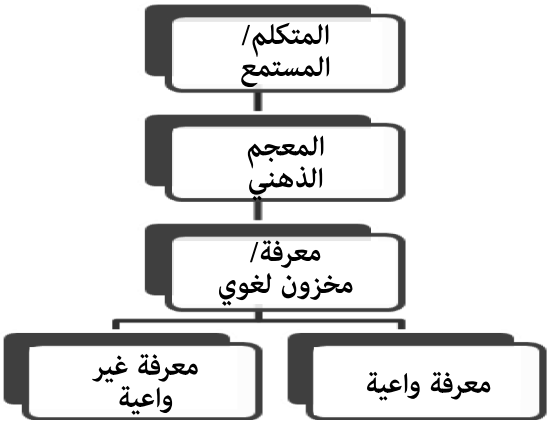

الرسم3: المعجم الذهني بين المعرفة الواعية وغير الواعية.

كمَا أن هذه المعرفةَ اللغويةَ تتأسسُ داخلَ المعجمِ الذهنيِ وفقَ نظامينِ: لساني (شكل ومعنى) وغيرِ لساني (مفاهيم) أنظر (الرسم رقم 4).

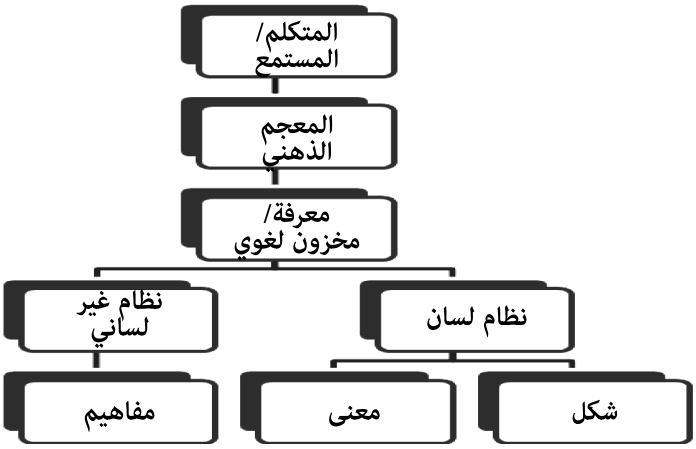

الرسم 4: المخزون اللغوي في المعجم الذهني بين اللساني وغير اللساني.

وبمَا أن مفهوميْ «المعجمِ الذهنيِ» وَ «الكلمةِ» أوْ الوحدةِ المعجميةِ متكاملانِ ومتداخلانِ، فإنَّه قدْ لا يكونُ منَ السَّليمِ فصلُ هذه الوحداتِ المعجميةِ عنِ الهرميةِ التركيبيَّةِ التي تؤطرُها وتظلُّ فاعلةً في توجيهِ دلالاتِها، وانتظامِها داخلَ المتواليات اللِّسانيَّةِ التي تردُّ فِيها، ومحددة لغاياتِ استعمالِها. ولا نغفلُ أيضاً دورَ المعارفِ اللسانيَّةِ وأهميتَها في تحديدِ الدلالاتِ المتعددةِ والدقيقةِ؛ وظيفية كانتْ أوْ سياقية أوْ موسوعية أوْ توزيعية... للوحدةِ المعجميةِ. إنَّ التفاعلَ المقررَ بينَ كلِّ هذه المقتضياتِ اللسانيَّةِ والدلالاتِ المستلزمةِ لعديدِ الوحداتِ المعجميةِ التي تحدِّدُ نوعَها ودورَها الوظيفيِّ، الِّذي هوَ التفاعلُ المقررُ بينَ كلِّ هذهِ المقتضياتِ، وانضباطُها للأحكامِ والقوانينِ التي تؤلفُ صرحَ النظامِ اللسانيِّ الذِي تنتمي إليهِ.

انظر (الرسم رقم5).

الرسم 5. الوحدة المعجمية بين المعلومات اللسانية والدلالات الممكنة.

2. خصوصياتُ المعجمِ الذهنيِّ بينَ الإدراكِ والإنجازِ

1.2 المعجمُ الذهنيُّ وبنياتُ تنظيمِه

يستطيعُ أيُّ متكلمٍ / مستمعٍ أنْ يَنفذَ إلى معجمِه الذهنيِّ انطلاقاً منْ مثيرٍ حسيٍّ أثناءَ الإدراكِ، والإدراكُ هوَ العمليةُ التي يقومُ فِيها مستمعٌ بمعالجةِ المعطياتِ اللسانيةِ التي تتدفقُ عليْهِ، عبرَ أُذنيْهِ في إطارِ الشكلِ المسموعِ للغةِ، وبواسطةِ عينيْهِ في إطارِ شكلِها المكتوبِ، وبواسطةِ أصابعِهِ في شكلِها المرموزِ في نظامِ برايلْ للكتابةِ، مع ما تقتضيهِ هذه العمليةُ من استقبالِ المعلومةِ، وفكِ التسنيناتِ (الصوتيةِ- الصرفيةِ، والدلاليةِ - التركيبية، والصوتية- التركيبية)، وربطِ ذلكَ بالمعجمِ الذهنيِّ لديْهِ، وبالسيَّاقِ التواصلِّي، وبالخلفيَّةِ الثقافيَّةِ والاجتماعيَّةِ التي تُؤطِّرُ العمليةَ الإدراكيةَ. وَلإدراكِ وإنجازِ اللُّغةِ يلزم التوفرُ على مكتسبينِ: أحدُهمَا فيسيولوجيٌّ (جهازِ النطقِ) والثانِي معرفي (جهازِ المعالجةِ)، لكنْ إنجازَ اللغةِ يتطلبُ قدراتٍ معرفيةٍ تتمثلُ في المعارفِ والمعلوماتِ اللسانيةِ مثلِ:

- إنجازُ كلماتٍ لهَا القافية نفسها (معلوماتٌ صوتيةٌ فونولوجيةٌ).
- إنجازُ كلماتٍ تبتدئُ أو تنتهِي بحرفٍ معينٍ (معلوماتٌ إملائيةٌ).
- إنجازُ كلماتٍ منْ المقولة نفسها (معلوماتٌ تركيبيةٌ).

- إنجازُ كلماتٍ لهَا المعنى نفسه (معلوماتٌ دلاليةٌ).

- إنجازُ كلماتٍ لهَا الصيغةِ الصرفيةِ نفسها (معلوماتٌ صرفيةٌ).

كمَا يستطيعُ المتكلمُ/ المستمعُ التعرفَ علَى مختلفِ الوحداتِ المعجميةِ التي يواجهُهَا وفقَ مجموعةٍ منَ المقتضياتِ المعرفيةِ، والمقصودِ بهَا مجموعُ الآلياتِ المعرفيةِ التي تتدخلُ في معالجةِ المعلوماتِ، ومِنْ هذهِ الآلياتِ: التسجيل، والانتباه، والترميز، والتخزين، والتذكر، والاسترجاع، وتشتغلُ هذهِ الآلياتُ بشكلٍ تفاعليٍّ، والمداخلُ اللسانيةِ: هيَ مجموعُ المعارفِ اللسانيةِ منْها:

- المعارفُ الصوتيَّةِ: ترتبطُ المعارفُ الصوتيةِ بالنَّسقِ الصوتيِّ للغةِ العربيةِ، وبالإدراكِ العميقِ لكلِّ فونيماتِ اللغةِ منْ صوامتٍ، ومصوتاتٍ، وأشباه الصوامتِ، وكذَا المعرفةِ الجيدةِ بالكياناتِ التطريزيةِ، وما توليه من دورٍ في سبيلِ إنجازٍ لغويٍّ سليمٍ.

- المعارفُ الصرفيَّةِ: وهيَ المعارفُ التي تُمكنُ منْ تصريفِ الكلماتِ وتحويلِها منْ خلالِ إضافةِ عناصرَ صرفيةٍ مثل «الواوِ» الدالِ على الجمعِ، وحروفِ المضارعةِ، وحرفِ «السينِ» الدالِ على المستقبلِ... وإدراكِ العلاقاتِ الاشتقاقيةِ، والتصريفيةِ بيْنَ الوحداتِ المعجميةِ مثلِ تحولِ الفعلِ إلَى اسم الفاعل.

- المعارفُ التركيبيَّةِ: تتطلبُ إدراكًا عميقًا للمقولاتِ النحويةِ (فعل، فاعل، مفعول ...)، والخصائصِ الاشتقاقيةِ لرؤوسِ التراكيبِ كالأسماءِ، والأفعالِ، والصفاتِ، والحروفِ، وكيفيةِ انتظامِها وظيفياً وتوزيعياً، والوعيِ بخصوصياتِ الرُّتبةِ في اللُّغةِ العربيَّةِ (فعل، فاعل، مفعول)، كمَا أنَّ خصائصَ الرتبةِ في اللغةِ العربيةِ تكشفُ عنِ العلاقاتِ التركيبيةِ التي تجمعُ بينَ الأدوارِ الدلاليةِ والوظائفِ النحويةِ (بوعناني، 2006، ص:46).

- المعارفُ التداوليَّةِ: إنَّ معرفةَ المقتضياتِ التداوليةِ التي يفرزُهَا كلُّ سياقٍ مقاميٍّ، تكونُ مهمةً في فهمِ وإدراكِ التأويلاتِ الصحيحةِ للألفاظِ والعباراتِ والجملِ، وقدْ وجهتْهَا ظروفُ التكلمِ وضبطتْها معطياتُ المقامِ (بولحوش، 2015).

- المعارفُ الدلاليَّةِ: هيَ معارفٌ تؤسسُ العلاقات الدلاليَّةِ بيْنَ الكلماتِ والجملِ ثمَّ النصِّ القرائيِّ، وتعملُ على ربطِ الموضوعاتِ بالمحمولاتِ المناسبةِ ونمثلُ لذلكَ بالرسمِ التالي رقم 6.

الرسم رقم6: أهمية المقتضيات المعرفية واللسانية في النفاد إلى المعجم الذهني.

إنَّ المعارفَ الدلاليةَ للوحداتِ المعجميةِ تُعَرَّف بمجموعةٍ من الملامحِ التي تختلفُ بها عنْ دلالةِ باقِي الوحداتِ المعجميةِ التي تكوِّنُ اللغةَ، لذلكَ تبقَى العلاقةُ بينَ شكلِ الوحدةِ المعجميةِ ومعنَاها خاضع للمعرفيةِ الواعيةِ أيْ التعلمِ. لكنّ دلالةَ الوحدةِ المعجميةِ ليستْ مجردَ شكلٍ مسموعٍ ومرئيٍّ يُدركُ كمَا هو، وتحددُ دلالتَّه، بل على العكسِ من ذلكَ، تعدُّ دلالةُ الوحداتِ المعجميةِ جزءًا مندمجًا فيها، لكنْ على العكسِ ممَّا تقدمَ يسلمُ (Segui, 1992) بأنَّ إدراكَ الوحداتِ المعجميةِ يكونُ في استقلالٍ تامٍ عنْ دلالاتِها كمَا في أسماءِ الأعلامِ، أسماءِ المدنِ. إنَّ إمكانيةَ التوفيقِ بينَ هذينِ التصوريْنِ ممكن إذَا اعتبرْنا أنَّ معالجةَ المعلوماتِ في الحالاتِ العاديةِ يكونُ بشكلٍ متوازٍ بينَ الشكلِ والمعنَى.

إنَّ شكلَ الوحداتِ المعجميةِ قدْ لاَ يثيرُ مفهومًا أو تمثلاً معينًا أو موحدًا، بلْ قدْ يثيرُ مجموعةً منَ المعارفِ المرتبطةِ بهِ مادامتِ الوحدةُ المعجميةُ عبارةً عنْ مجموعةٍ منَ العناصرَ المفتوحةِ والمتغيرةِ حسَبَ الأفرادِ والأوضاعِ والتمثلاتِ والمشاعرِ والمواقفِ التي تثيرُها الوحدة المُعجميةُ (Cyrulnik, 4-2004,10)

يؤثرُ استعمالُ الوحداتِ المعجميةِ وتداولِها ثقافيًّا وسياقيّا في النَّفاذِ إلى المعجمِ الذهنيِّ حسَبَ كلُّ متكلمٍ/مستمعٍ، ذلكَ أنَّ العلاقةَ الاعتباطيةَ بينَ شكلِ الوحداتِ المعجميةِ ومعنَاهَا وبُعدها الوظيفيِّ التداوليِّ يختلفُ منَ متكلمٍ / مستمعٍ إلَى آخرَ،

ومنْ مجموعةٍ بشريةٍ إلَى أخرَى حسبَ مقتضياتِ التواصلِ والخصوصياتِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ ومستوَى التعليمِ واستعمالِ الوحداتِ المعجميةِ (بنعيسى، 2015، 110-111) انظرْ (الرسمَ رقم7) لتوضيحِ العلاقةِ أكثرَ بينَ شكلِ الوحداتِ المعجميةِ والمعنَى داخلَ المعجمِ الذهنيِّ.

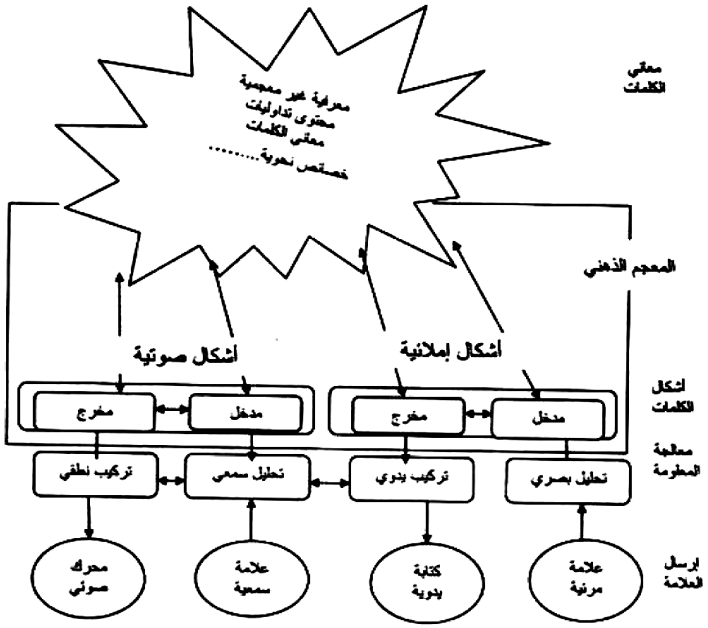

الرسم 7: الإطار العام للعلاقات الداخلية والخارجية داخل المعجم الذهني وخارجه (بنعيسى، 2008، 102).

يخضعُ استعمالُ الوحداتِ المعجميَّةِ لقيودٍ، كمَا قلنَا سابقًا، بنيويةً، وظيفيةً، سياقيَّةً ... تؤثِّرُ بشكلٍ مباشرٍ علَى تنظيمِها داخلَ المعجمِ الذهنيِّ وعلَى سيروراتِ/ مساراتِ إدراكِهَا وإنجازِهَا وسبلِ النفاذِ إليهَا. إذًا، كيْفَ تُبنَى وتنتظمُ الوحداتُ المعجميةُ داخلَ المعجمِ الذهنيِّ؟

للإجابةِ عن هذَا السؤالِ، تَبنَّى الباحثونَ مواقفَ نظرية متقاطعة ومتباينة، غيرَ أنَّهَا تتقاطعُ في استنادِهَا إلى منطقِ التشبيهِ بالحاسوبِ لمَا يوفرُه منْ تقنياتٍ للتعبيرِ عنْ نماذج التفكيرِ منْ خلالِ بناءِ نماذج مُصغرةٍ لوظائفَ تنظيمِ المعجمِ الذهنيِّ، ومحاولةِ تقييسِ النشاطِ الذهنيِّ بوصفه معالجا للمعلوماتِ، ويُمكنُ تقسيمُ نماذج التقييسِ إلَى نموذجَيْنِ: الأولُ اهتمَّ ببنيةِ المعجمِ الذهنِّي وركزَ علَى الجانبِ الهندسيِّ الوظيفيِّ والمعارفِ الصريحةِ (كليان Quillian، 1962، 1967، 1969، كولنسCollins وكليانQuillian، 1969،

كولنس Collins ولوفتسLoftus، 1975 ، وسميثSmith ، وآخرون 1974...) النموذجُ الثانيِّ (لفورسترForster، 1976 ، مورتنMorton،1970، 1979، 1982 ، مارسليم-ولسن Marslem-Wilson، 1984، 1992). وركز َ على الجانبِ الوظيفيِّ وسيروراتِ اشتغالِ المعجمِ الذهنيِّ.

تميزتِ النماذجُ الأولَى بمحاولة ِتمثيلِ المعارفِ الدائمةِ ، فِي حينِ تميزتِ الثانيةُ بنمذجةِ نتائجَ معينةٍ حولَ فَهْمِ الجملةِ. لقدْ تَمكنتْ هذه النماذجُ من تأسيسٍ نظريٍّ مهمٍ جداً للكشفِ عنْ بنيةِ المعجمِ الذهنيِّ وكيفيَّة تنظيمِه ومختلفِ العملياتِ التي تشتغلُ أثناءَ اكتسابِ اللغةِ وإدراكِهَا وإنجازِهَا (للتفصيلِ أكثرَ في هذه ِالنماذج راجعْ بنعيسى زغبوش،2008).

2.2 المعجم الذهني وسيرورات النفاذ إليه

تَتأسسُ عملياتُ الإدراكِ اللغويِّ على معالجاتٍ معرفيةٍ دقيقةٍ ، أَوْلاَهَا هي العملياتُ التي تتمُّ بموجبِهَا ترجمةُ الكياناتِ والوقائع الصوتية المسموعة، وسنركزُ على إدراكِ الوقائعِ اللغويةِ العربيةِ المنطوقةِ أيْ تلكَ الإدراكاتِ التي تتأسسُ علَى السمعِ، ارتباطًا بتركيزنَا علَى الأبحاثِ اللغويةِ المنطوقةِ، في كلِّ إنجازٍ لغويٍّ، إلى مكوناتٍ لغويةٍ تمتلكُ في بنياتِها المعرفيةِ مقابلاتٍ فكريةٍ ومفهوماتيةٍ، تَتأسسُ هذهِ المرحلةُ على فكِّ التسنيناتِ الدلاليةِ-التركيبيةِ، الصرفيةِ-الصوتيةِ، الصوتيةِ-التركيبيةِ المرتبطةِ ارتباطًا وثيقًا بالمعجمِ الذهنيِّ.

لقدْ برهنتِ العديدُ مِنَ الدراساتِ Magnuson&Tanenhaus,Dahan, (Banel&Bacri,Swingley,1997,2000) علَى أنَّ الإدراكَ اللغويَّ متواليةٌ منَ العملياتِ المتداخلة والمتفاعلةِ بينَ مستوياتٍ لسانيةٍ- معرفيةٍ مختلفةٍ، في كلِّ مستوَى يَتمُّ تفعيل معالجاتٍ خاصةٍ تكونُ بارتباطٍ وثيقٍ معَ أنواعٍ محددةٍ منَ الوحداتِ اللغويةِ العربية.

تحتلُّ اللسانياتُ مكانةً مهمةً في حقلِ العلومِ المعرفيةِ، ارتباطًا بالدورِ الذِي تكتسبُه في اشتغالِ المعرفيةِ الإنسانيةِ، ويتحددُ عمق اشتغال النظرياتِ اللسانيةِ بإدراكِ اللغةِ و إنجازِها، انطلاقًا أولاً منَ اللسانياتِ البِنيويةِ التي اهتمتْ بإيجادِ نسقِ القواعدِ الأكثرَ اقتصادًا، والأكثرَ ملاءمةً للنسقِ اللسانيِّ المدروسِ، ثانيًا اللسانياتُ التوليديةُ، التي

ركزتْ على إيجادِ نسقِ القواعدِ الصالحِ لكلِّ الأنظمةِ اللغويةِ، ثالثًا اللسانياتُ المعرفيةُ التي سعتْ دائمًا إلى وصفِ تمثلِ المعلوماتِ اللسانيةِ في المعجمِ الذهنيِّ (بولحوش، 2015).

كمَا تَتحددُ القيمةُ الإجرائيةُ للربطِ بيْنَ اللسانيِّ والمعرفيِّ في عملياتِ الإنجازِ اللغويِّ، فيمَا يُمكنُ للبحثِ في هذَا المجالِ، مِنْ تدقيقِ النظرِ في أنواعِ الملفوظاتِ التي تشكلُ مضمونَ فعلِ الإنجازِ. فاللسانيُّ المعرفيُّ موكولٌ لهُ تدقيقَ النظرِ في أمريْنِ اثنينِ:

- «الأولُ: مَا يستوجبُه الاشتغالُ الذهنيُّ باللغةِ منْ معرفةٍ دقيقةٍ النظام اللغويِّ»؛

- «الثاني: تدقيقُ النظرِ في المساراتِ المعرفيةِ لاشتغالِ اللغةِ في الذهنِ».

إنَّ توصُّلَ الدراساتِ اللسانيةِ المعرفيةِ (S, Pinker, Level, 1989, 1999) إلى عددٍ منَ النتائجِ المرتبطةِ بالإنجازِ اللغويِّ، مثل قدرةِ الإنسانِ على إنتاجِ 12 وحدةٍ فونيميةٍ في الثانيةِ الواحدةِ، ومنْ 100 إلى 200 كلمةٍ في الدقيقةِ الواحدةِ، أيْ بمعدلِ كلمةٍ واحدةٍ في كلِ 400 جزءٍ منَ الثانيةِ، وغيرِها منَ النتائجَ العلميةِ الدقيقةِ، يدلُّ بالضرورةِ على أنَّه ثمةَ سيروراتٍ/ مساراتٍ ذهنيةٍ عاليةِ الدقةِ.

إنَّ تبني المنظورِ اللساني المعرفي في معالجةِ موضوع «الإدراكِ والإنجازِ اللغويِّ» هوَ في العمقِ تساؤلٌ حولَ المعارفِ اللسانيةِ التي يمتلكُها المتكلمُ، وتساؤلٌ كذلكَ حولَ المساراتِ الذهنيةِ التي يتمُّ تفعيلُها لإدراكٍ وإنجازٍ سليميْنِ. ويتحققُ فعل الإنجازِ اللغويِّ وفقَ مستوييْنِ همَا:

- مستوَى الإنجازِ الصوتيِّ أوْ النطقيِّ: ويتجلَّى منْ خلالِ النطقِ أو القراءةِ.

- مستوَى الإنجازِ الخطيِّ الإملائيِّ: ويتطلبُ معارفَ إملائيةٍ.

ويتحققُ الإنجازُ اللغويُّ عبرَ ثلاثِ مراحل أساسيةٍ مرتبةٍ ترتيبًا منطقيًا تفرضُه مقتضياتُ الإنجازِ اللغويِّ:

- المرحلةُ الأولَى الصياغةُ المفهوماتيةُ: Conceptualisation

- المرحلةُ الثانيةُ الصياغةُ المعجميةُ: Lexicalisation

- المرحلة الثالثة النطقية: Articulation ممثلة في الرسم التالي:

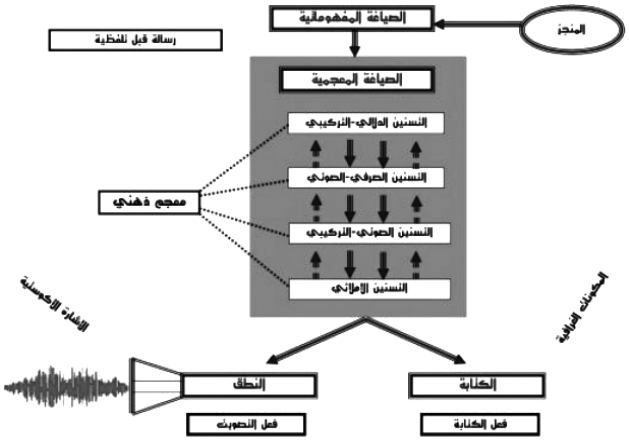

الرسم رقم8: نموذج صوري للإنجاز المنطوق والمكتوب

(Segui& Ferrand, 2000)، مراجع ومعدل في (بوعناني، 2006 و 2012)

- **المرحلةُ الأولى:** «تسمَّى عمليةُ المفهمةِ أوِ الصياغةُ المفهوماتيةِ (conceptualization). فِي هذِهِ المرحلةِ يتمُّ تحديدُ وانتقاءُ الأفكارِ والمفاهيمِ التي يرادُ التعبيرُ عنْها شفهيًّا أو كتابيًّا، وهيَ لغةُ التفكيرِ المستقلةِ عنِ اللغةِ.

- **المرحلةُ الثانية:** تسمَّى عمليةُ الصياغةِ المعجمية (Lexicalisation)، وفي هذِه ا لمرحلةِ يتمُّ انتقاء الكلماتِ المناسبةِ للمفاهيمِ والأفكارِ التي يتوخَّى المتكلمُ التعبيرَ عنْها، بغيةَ الوصولِ إلى بنيةٍ دلاليةٍ-تركيبيةٍ-صواتيةٍ -صرفيةٍ –دلاليةٍ ملائمةٍ.

وتنقسمُ هذه المرحلةُ المسماةُ أيضًا «مرحلةَ النفاذِ المعجميِّ أوِ المعجمِ الذهنيِّ» إلى أربعِ مراحلَ فرعيةٍ هيَ:

• **المرحلةُ الفرعيةُ الأولى:** مرحلةُ التسنينِ الدلاليِّ-التركيبيِّ: تتأسسُ هذه المرحلةُ المعجميةُ على العلاقةِ القائمةِ بينَ الكلماتِ والجملِ، فمثلًا عندمَا نقولُ «ولدٌ»، هي كلمةٌ لها دلالةٌ معجميةٌ، والمقصودُ بِها الذكرُ أوْ الأنثَى. هذِه الدلالةُ المعجميةُ ترتبطُ بشكلٍ مباشرٍ معَ تركيبِ أنَّ كلمةَ «ولدٌ» تنتمِي إلى مقولةِ الاسمِ. كما أنَّ العلاقةَ في الجملِ تتأسسُ علَى العلاقةِ النحويةِ التي تربطُ الموضوعات بمحمولاتِها، والعلاقاتِ الدلاليةِ التي تربطُ الموضوعات بالفعلِ وفقَ خصائصَ رتبةِ المكوناتِ (ف.فا.مف. مف2.)

دخلَ زيدٌ.

لبسَ زيدٌ ثياباً.

أعطَى زيدٌ عمَرَ لعبةً.

الفعلُ في اللغةِ العربيةِ يتقدمُ رتبةَ الموضوعاتِ، ويسندُ الأدوارَ الدلاليةِ لباقِي عناصرَ المحليةِ الفعليةِ، وبالتالِي فرتبةُ الموضوعاتِ تسايرُ سُلَّميَّةَ الأدوارِ. وتتأكدُ هذه القاعدةُ: فإذَا قلنَا مثلًا: ضربَ عيسَى موسَى، يكونُ الأولُ فعلاً، والثانيُّ فاعلًا، والثالثُ مفعولاً بِه، حتَّى بدونِ وجودِ الحركاتِ الإعرابيةِ الدالةِ علَى الوظائِف النحويةِ. وبذلكَ، فإنَّ التحليلَ الدلاليَّ للأوضاعِ التي تصفُها المحمولاتُ، يساعدٌ على تحديدِ الأدوارِ الدلاليةِ التي تعكسُها البنيةُ الصوريةُ للوحداتِ المعجميةِ (زغبوش، 2008، ص: 115-116).

• **المرحلة الفرعيةُ الثانيةُ:** تسنينُ صرفيٌّ صوتيٌّ: تفيدُ هذِه المرحلةُ فهْمَ مختلفِ أشكالِ تصريفِ الكلماتِ وتحولِها منْ بنيةٍ صرفيةٍ إلى أخرَى، ومنْ بنيةٍ صوتيةٍ إلى أخرَى، بإضافةِ عناصرَ صرفيةٍ. مثلاً إذَا أضفْنَا العنصرَ الصرفيَّ «الواو» إلى الفعلِ الماضيّ المفردِ «ذهبَ» تصبحُ «ذهبُوا» فعلا ماضيا يدلُ على الجمعِ. وفعلُ «ذهبَ» يتكونُ منْ ثلاثةِ مقاطعَ صوتيةٍ هيَ/ ص مص + ص مص + ص مص / تتحولُ بإضافةِ العنصرِ الصرفيِّ «واو الجمعِ» إلى بنيةٍ صوتيةٍ أخرَى هي: /ص مص+ ص مص + ص مص+ ص مصَ/ والأمرُ نفسُه إذا أضفنَا العنصرَ الصرفيِّ «سَ» وباقي العناصر الصرفيةِ.

• **المرحلةُ الفرعيةُ الثالثةُ:** تسنينٌ صوتيٌّ تركيبيٌّ: تنتظمُ فِي هذِه المرحلة منَ التسنينِ مختلف المقاطع الصوتية التي تنتظمُ داخلَ الكلمةِ أوْ الجملةِ في مستوَى أدنَى أوْ أعلَى، ويعبرُ عنْهَا الوصفُ النحويُّ (فعلٌ، اسمٌ، حرفٌ) (جملةٌ إسميةٌ، جملةٌ فعليةٌ، شبهُ جملةٍ). ويمكنُ أنْ نلاحظَ ذلكَ فِي كلمة «دَخَلَ» تتكونُ منْ ثلاثةِ مقاطعَ صوتية « /ص مص+ ص مص + ص مص /» وتعبِّرُ هذِه الكلمةُ نحويًا عنْ «فعلٍ ماضٍ».

أمَّا إذَا انتظمتْ هذِه المقاطعُ والكلماتُ فِي جملٍ أو نصٍّ قرائيٍّ وفقَ تركيبٍ في مستوَى أعلَى، نعبِّر عنْه بِ «دخلَ الولدُ إلى القسمِ» تعبِّرُ نحويَا عنْ جملةٍ فعليةٍ تتكونُ منْ «فعلٍ + فاعلٍ+ جارٍ ومجرورٍ» وتعبِّرُ صوتيَا عنْ أربعةِ حدودٍ للكلمةِ «دخلَ» «الولدُ» «إلى» «القسمِ» كلُّ حدٍّ منْ هذِه الحدودِ يتكوَّنُ منْ مقاطعَ صوتية «إنَّ فَهْمَ

هذا التسنينِ يتضمنُ معالجةَ قواعدَ تركيبيةٍ وصواتيةٍ.

• **المرحلةُ الفرعيةُ الرابعةُ:** خاصةٌ بالتسنينِ الصوتيِّ-إملائيِّ: خلالَ هذه المرحلةِ يتمُّ استرجاعُ التمثلاتِ الغرافيةِ للفونيماتِ منْ خلالِ النفاذِ إلى هذه التمثلاتِ، فالأطفالُ الذينَ يتعلمونَ القراءةَ يتوفرونَ مسبقًا على هذه التمثلاتِ الصوتيةِ الفونيميةِ، ويكونُ استعمالُها أكثرَ سهولةً من الأطفالِ الآخرينَ.

وتجدرُ الإشارةُ هنَا إلى أنَّ الفونيمَ أو الصوْتَ لاَ يحملُ أيَّةَ دلالةٍ، بعكسِ المقطعِ الصوتيِّ، فعندَمَا نقولُ «بِ» فهوَ مقطعٌ صوتيٌّ يتكونُ من «ص مص» يدلُّ على حرفٍ جارٍ، أمَّا إذَا قلْنَا /ب/ صوتٌ لاَ يحملُ أيَّةَ دلالةٍ.

- المرحلةُ الثالثةُ: فهيَ المرحلةُ النطقيةُ، هذه المرحلةُ تتطلبُ أعضاءَ نطقٍ سليمةٍ خاليةٍ منْ أيَّةِ عيوبٍ خلقيةٍ، إضافةً إلى العلمِ بمواضعَ وكيفيةِ نطقِ الأصواتِ اللغويةِ. وتعملُ أنظمةُ المعالجةِ هذه بشكلٍ مترابطٍ ومتفاعلٍ أثناءَ الإنجازِ اللغويِّ.

3. المعجمُ الذهنيُّ: بعضُ الخصوصياتِ البراميتريةِ للمعارفِ الصوتيةِ

إنَّ عمليةَ إدراكِ الوحداتِ اللغويَّةِ وإنجازِها عمليةٌ بالغةُ التعقيدِ، تتطلبُ امتلاكَ المتكلمِ / المستمعِ معجمًا ذهنيًا يحتوي على معلوماتٍ منظمةٍ ولائحةٍ منَ المداخلِ المعجميةِ، حيثُ يحتوي كلُّ مدخلٍ معجميٍّ على مجموعةٍ منْ المعلوماتِ الضروريةِ لإدراكِ وحدةٍ لغويةٍ معينةٍ وفهمِهَا، أيْ إدراكِها وإنجازِها. فالمتكلمُ، أيْ المستمعُ الذِي يتكلمُ اللغةَ العربيةَ، يفترضُ أنْ يكونَ مُتمكنًا منْ أسسِهَا، عارفًا بوحداتِهَا الصوتيةِ وكيفيةِ انتظامِهَا ضمنَ بنياتٍ تحْتَ-معجميةٍ، ومعجميةٍ، وفوقَ-معجميةٍ (بولحوش، 2015). لذلكَ لا بدَّ منَ التمييزِ بَيْنَ هذِه الوحداتِ المعجميةِ التي تقتضِيها سيروراتُ/ مساراتُ الإنجازِ اللغويِّ السليمِ.

1.3 المعارفُ الصوتيةُ تحتَ-معجميةٍ

تتضمنُ الوحداتُ التحتَ -المعجميةِ علَى كلِّ الوحداتِ الصوتيةِ الفونيميةِ التي تشكلُ البنيةَ الأساسَ للوحدةِ المعجميةِ في اللغةِ العربيةِ وهيَ: الملامحُ المميزةِ، وحداتٌ فونيميةٌ (صوامتٌ، ومصوتاتٌ، ومقاطعُ)، وهذا التقسيمُ كانَ نتيجةَ دراسةٍ طبيعيةٍ للأصواتِ والملامحِ المميزةِ لكلِّ صوتٍ.

أ-الملامحُ المميزةِ

هيَ مجموعةٌ منَ الخصائصِ الصوتيةِ التي تميزُ صوتًا لغويًا عنْ صوتٍ لغويٍّ آخرَ، منْ ثَم، أصبحَ مفهومُ الصوتِ عبارةً عنْ مجموعةٍ منَ الملامحِ المميزةِ التي تنبعُ منَ الخصائصِ النطقيةِ السمعيةِ التي تحددُ كلَّ صوتٍ منْ أصواتِ اللغةِ، مثلُ موضعِ النطقِ وكيفيتِه.

ب - وحداتٌ فونيميةٌ

- صوامتُ

تتميزُ الصوامتُ بأنها الأصواتُ الناتجةُ، أثناءَ تحقيقِها في الجهازِ المصوتيِّ عنْ اصطدامِ الهواءِ بعائقٍ مَا أثناءَ عمليةِ النطقِ، وتتحددُ طبيعةُ الصوامتِ حَسبَ موضعِ النطقِ وكيفيتِه، ومنْ حيثُ الجهرُ والهمسُ. والصوامت فِي اللغةِ العربيةِ هيَ: /ء/، /ب/، /ت/، /ث/، /ج/، /ح/، /خ/، /د/، /ذ/، /ر/، /ز/، /س/، /ش/، /ص/، /ض/، /ط/، /ع/، /ع/، /ف/، /ق/، /ك/، /ل/، /م/، /ن/، /هـ/، /و/، /ي/.

كيف يتم إنجاز أصوات اللغة العربية؟

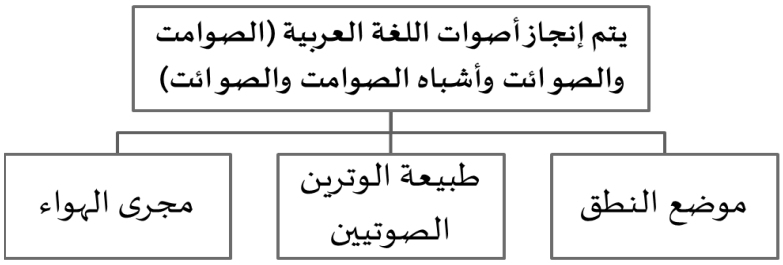

الرسم رقم 9. الكيفية التي يتم بها انجاز الأصوات العربية.

وتصنفُ الصوامتِ حَسَبَ طبيعةِ موضعِ النطقِ إلَى:

الجدول رقم(1): تصنيف الصوامت حسب موضع النطق.

المخرج العام	عدد مخارجه	وصفها	الأصوات
الحلق	1	أقصى الحلق، أي آخره من جهة الصدر حيث يلتقي فيه أحد الوترين الصوتيين، فإن كان الالتحام تاما حدث صوت الهمزة، وإن اقتربا حدث صوت الهاء.	الهمزة، الهاء
		2وسط الحلق، بتقريب الجدارين الأمامي والخلفي للحق	الحاء، العين
	3	أدنى الحلق أي أقربه إلى الفم حيث يلتقي أقصى اللسان بالطبق من غير حدوث التحام	الخاء، الغين
اللسان	1	أقصى اللسان قريبا من الحلق، وفيه يلتحم أقصى اللسان (مؤخره) باللهاة مع الطبق	القاف
	2	أقصى اللسان قريبا من جهة الفم حيث يلتقي أقصى اللسان بالطبق مع حدوث التحام تام	الكاف
	3	وسط اللسان: حيث يلتقي وسط اللسان مع الغار فإن كان الالتحام يمنع مرور الهواء حدث صوت الجيم، وإن كان غير ذلك حدث صوت الشين.	الجيم، الشين، الياء
		4ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا	التاء، الطاء، الدال
		5ظهر اللسان مع رؤوس الثنايا العليا	الثاء، الظاء، الذال
	6	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، حيث يلتقي طرف اللسان مع اللثة، فإن كان الالتحام بينهما تاما، وامتنع الهواء من المرور، وتحول إلى مجرى الأنف حدث صوت النون.	النون
	7	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا قريبا من الظهر مع حدوث تكرار الالتقاء على ضربات طرف اللسان على اللثة.	الراء
		8رأس اللسان مع أصول الثنايا	الزاي، الصاد، السين

اللسان	9	حافة اللسان أي جانبه، مع التصاقه بما يحاذيه من الأضراس العليا	الضاد
	10	حفة اللسان الأمامية مع التصاقها بما يحاذيها من الأسنان، مع السماح للهواء بالانسياب على حافتي اللسان أو على احداهما.	اللام
الشفتان		1ما بين الشفتين	الواو، الباء، الميم
		2الفة السفلى مع رؤوس الثنايا العليا	الفاء
الجوف		1الجوف	الألف، والواو، الياء
الأنف		1الخيشوم	الغنة

يُتضحُ منَ الجدولِ رقم (1)، أنَّ لكلِّ صوتٍ مخرجًا يميزُهُ عنْ غيرِهِ، إلاَّ أنَّ مَكانَ إخراجِ الأصواتِ ليسَ كافيًا لتمييزِ جميعِ الأصواتِ اللغويةِ؛ فصوتا «الميم» و«الباء» يخرجانِ منْ مخرجٍ واحدٍ، مِمَّا يجعلُنَا نحتاجُ إلى صفاتٍ أخرَى تميِّزُ الأصواتَ ذاتَ المخرجِ الواحدِ عنْ بعضِها البعضِ. وهنَا يأتِي دورُ كيفيةِ النطقِ.

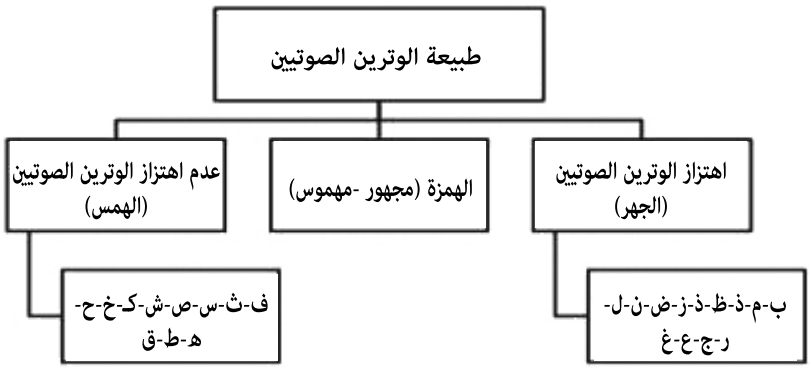

الرسم رقم 10. صفات الصوامت تبعا لطبيعة الوترين الصوتيين.

وتصنفُ الصوامت حسبَ طبيعة الوترين الصوتيين إلى:

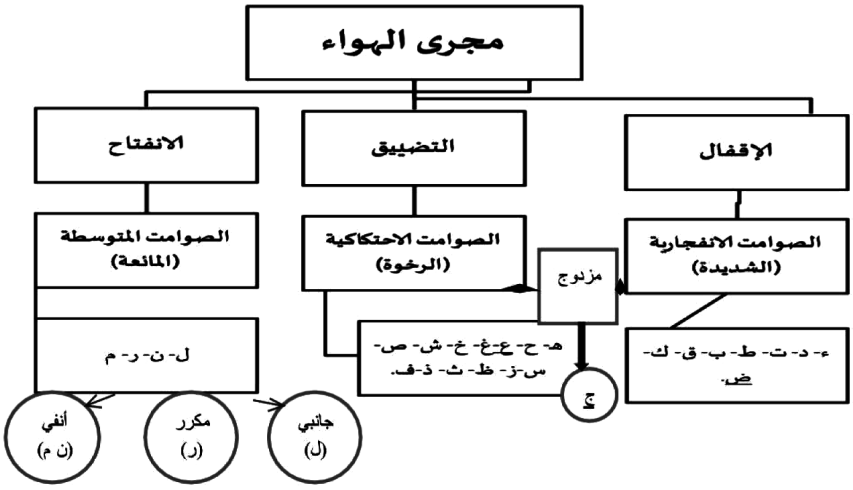

الرسم رقم 11. صفات الصوامت تبعا لطبيعة مجرى الهواء.

ملاحظة:

	الجيم	الضاد	العين
القدماء	انفجاري (شديد)	احتكاكي (رخو)	متوسط (بين الانفجارية والاحتكاكية
المحدثين	مزدوج (انفجاري، احتكاكي)	انفجاري(شديد)	احتكاكي

- المصوتاتُ

المصوتاتُ: هيَ أصواتٌ تخلُو مِنَ الضجيجِ، لأنَّها تصدرُ دونَ أنْ يصطدِمَ هواءُ الزفيرِ بأيِّ عائقٍ، وقدْ سمَّاهَا الخليلُ ابنُ أحمدِ الفراهيديّ الأحرفَ الجوفية أو الهوائية، وتتخذُ أعضاءَ جهازِ النطقِ أوضاعًا خاصةً بكلِّ صوتٍ فلاَ تتغير ولاَ تتحرك أثناءَ إنجازِه، والمصوتاتُ مثلُ: الفتحةِ، الضمةِ، الكسرةِ، الفتحةِ الطويلةِ، الكسرةِ الطويلةِ، الضمةِ الطويلةِ.

والمصوتاتُ في اللغةِ العربيةِ كلُّهَا مجهورةٌ، نتيجةَ تذبذبِ الوتريْنِ الصوتيَيْنِ لدَى النطقِ بها، أمَّا معيارُ التمييزِ بيْنَها فيتمُّ حَسْبَ مَا يلِي: وضعُ اللسانِ، ووضعُ الشفتيْنِ، والمدةُ.

الجدول رقم (2): صفات المصوتات تبعا لوضع للسان والشفتين ومجرى الهواء، وطبيعة الوترين الصوتيين

المصوتات أو الصوائت	وضع واللسان والشفتين	مجوي الهواء (درجة انفتاح الفم)	طبيعة الوترين الصوتيين
الفتحة والفتحة الطويلة/ الفتحة [a]/ ألف المد[a:]	مصوت أمامي مع انفراج الشفتين	فتح ضيق	مجهورة
الكسرة والكسرة الطويلة / الكسرة[i]/ ياء المد [i:]	مصوت أمامي مع انفراج الشفتين	فتح متسع	مجهورة
الضمة والضمة الطويلة/ الضمة [u]/ واو المد [u:]	مصوت خلفي مع استدارة الشفتين	فتح ضيق	مجهورة

أهمَّ معايير التمييزِ بيْنَ المصوتاتِ

فالمصوتاتُ الثلاثةُ (الفتحةُ ، والضمةُ ، والكسرةُ) تكونُ مفخمةٌ معَ الأصواتِ المطبقةِ (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء) وفي الحالةِ الوسطَى بيْنَ التفخيمِ والترقيقِ معَ (القافِ والعينِ والخاءِ) ولكنَّها تكونُ مرققةً في المواقعِ الصوتيةِ الأخرَى.

- المدة

إذا كانَ موضعُ النطقِ يسمحُ بالتمييزِ بيْنَ ثلاثةِ صوائت عربية، فإنَّ طولَ المصوِّتِ أوْ مدتَه يرفعُ هذَا التمييز إلى ستّة مصوتاتٍ؛ فكلُّ واحدٍ منْها يكونُ إمَّا قصيراً (الحركات) أو طويلاً (حروف المد). وقدْ لاحظَ علماءُ العربِ (سيبويه، 1983)، (ابن جني، 1985) الفرقَ بيْنَ القصرِ والطولِ، وعبرُوا عنْ علاقةِ الفتحةِ بألفِ المدِّ، والضمةِ بواوِ المدِّ، والكسرةِ بياء المدِّ، والمدةُ سمةٌ مميزةٌ في اللغاتِ عامةٌ، تقترنُ بقواعدَ مشتركةٍ منْ حيث الخصائص الفيزيائيةِ؛ فكلَّمَا كانَ المصوتُ مغلقًا كانَ قصيرًا، والمصوتُ الخلفيُّ أشدُّ قصرًا مِنَ المصوتِ الأماميِّ، ويكونُ بذلكَ المصوتُ الكسرةُ أقل طولا مِنَ المصوتِ الفتحةِ، والفتحةُ أقصرُ منَ المصوتِ الضمةِ. كمَا أنَّ الطولَ يعملُ كسمةٍ مميزةٍ في اللغةِ العربيةِ، ويتبينُ لنا ذلكَ منْ خلالِ عمليةِ إضافةِ حركةٍ طويلةٍ على المفرداتِ لَا يميزُ بيْنَهما سوَى اختلافِ الطولِ في أحدِ مصوتاتِها، مثلًا: كَتَبَ وكَاتِب، قَتَلَ وقاَتل، أَكَلَ وأُوكل، فَهِم وفهِيم، والملاحظُ أنَّها كلَّها فونيماتٌ مستقلةٌ، يختلفُ كلُّ فونيمٍ منْها عنِ الآخرِ في

المضمونِ الدلاليِّ، وهذا مَا يميزُ المصوتاتِ الطويلةَ بوصفها مصوتاتٍ مستقلةً تمامًا مثلُ المصوتاتُ القصيرةُ، وأنَّ التقابلَ بينَ المصوتاتِ الطويلةِ والقصيرةِ يؤدِّي في غالبِ الأحيانِ إلى تغييرِ المعنَى.

- **أشباهُ الصوامتِ أوالمصوتاتِ**

توجدُ في اللغةِ العربيةِ، بالإضافةِ إلى الصوائتِ والصوامتِ، أصواتٌ لا يمكنُ تصنيفُها في أيٍّ منْ الفئتيْنِ، وتُدعَى بأشباهِ الصوائتِ والمصوتاتِ، وهي الواوُ والياءُ. وقدْ يستعملانِ في اللغةِ العربيةِ صامتيْنِ ومصوتيْنِ، فيستعملانِ صامتينِ إذَا استعملَا في بدايةِ الكلمةِ أو المقطعِ، ومصوتيْنِ إذَا سبقَا بحركةٍ من نفسِ الجنسِ.

وتكونُ المعرفةُ الفونولوجيةُ مكتملةً بالوعيِ بطرائقِ انتظامِ الوحداتِ الصوتيةِ، في السلسلةِ الكلاميةِ حتَّى تتأثرَ بالأصواتِ المجاورةِ لها وتؤثرَ فيها، وذلكَ ضمنَ عمليةَ تفاعلٍ متبادلٍ؛ ذلكَ أنَّ السلسلةَ الكلاميةَ، لاَ تضمنُ وحداتٍ منعزلةٍ ثابتةٍ بقدرِ ما تتكوَّنُ منْ حركاتٍ استمراريةٍ، يقومُ بِهَا الجهازُ النطقيُّ في عمليةِ إنجاز وحداتٍ صوتيةٍ، ومقطعيةٍ ترابطُ فيمَا بينهَا ويتأثرُ بعضُها بالبعضِ الآخرَ (بوعناني 2010).

والإنجازُ اللغويِّ في الواقعِ دينامية، ولابدَّ لمَنْ يصفُ وحداتِه أنْ يأخذَ بعينِ الاعتبارِ هذه الديناميةِ.

وتُصنفُ أشباهُ الصوائتِ والمصوتاتِ بكيفيةِ وضعِ الشفتينِ وموضعِ النطقِ، كمَا في الجدولِ أسفله.

الجدول رقم (3): تصنيف أشباه الصوائت والمصوتات بالنسبة لوضع الشفتين وموضع النطق.

	وضع الشفتين	موضع النطق
الياء	الشفتان متباعدتان	حنكي = أمامي
الواو	الشفتان مدورتان	لهوي =خلفي

أ- الوحداتُ المقطعيةُ

الوحداتُ المقطعيةُ تتألفُ منْ وحداتٍ لغويةٍ مختلفةٍ منَ الصوامتِ والمصوتاتِ وأشباهِ الصوامتِ، وهيَ أصغرُ وحدةٍ صوتيةٍ، يُمكنُ النطقُ بِهَا، ويستطيعُ المتكلمُ أنْ ينتقلَ منهَا إلى غيرِها منْ أجزاءِ الكلمةِ.

وهذِه الوحدةُ الصوتيةُ أكبرُ منَ الفونيمِ، وتأتِي بعدَه مباشرةٌ في النطقِ، وهوَ يتكوَّنُ منْ نواةٍ تسمَّى النواةُ المقطعيةُ noyau syllabique، وتكونُ أحيانًا مكونةً منْ صامتٍ ومصوتٍ واحدٍ أو أكثرَ، وللمقطعِ جزءانِ أساسيانِ: أحدهمَا يعرفُ «بالقمةِ"، والآخرُ «بالقاعدةِ" أوِ «الهامشِ»، واللغةُ العربيةُ تتميزُ عندَ النطقِ بمجموعةٍ منَ المقاطعِ، كلُّ مجموعةٍ منْها تسمَّى بالكلمةِ؛ فالكلمةُ تتكوَّنُ منْ مقطعٍ واحدٍ أوْ أكثرَ، لا تكادُ تنفصلُ أثناءَ النطقِ بِهَا، بلْ تظلُّ واضحةً. واللغةُ العربيةِ تميلُ إلى المقاطعَ المغلقةِ، رغمَ أنَّها تشملُ على المقاطعَ المفتوحةِ والمغلقةِ (بولحوش، 2015).

ويُمكنُ التمييزُ بيْنَ خمسةَ أنواعٍ من المقاطع، يوضحُها الجدولُ أسفله:

الجدول رقم(4): أنواع المقاطع في العربية

المقاطع المفتوحة	صامت +مصوت قصير. مثال: /بَ/ CV
	صامت +مصوت طويل. مثال: /لا/ CV
المقاطع المغلقة	صامت +مصوت قصير+صامت. مثال: /لَمْ/ CVC
	صامت +مصوت طويل+صامت. مثال: /عَادْ/ CVC
	صامت + مصوت قصير +صامتان. مثال: /أرْضْ/ CVCC
مقطعان سياقيان مشروطان بتطبيق الوقف	صامت + مصوت طويل+ صامتان. مثال: /صابِرْ/

2.3 المعارف الصوتية للوحدات المعجمية

نقصدُ بالوحداتِ المعجميةِ انتظام مجموعةٍ منَ المقاطعَ الصوتيةِ في الكلمةِ، فعلًا كانتْ أمْ إسمًا، لا تزيدُ على ستةِ مقاطعَ صوتيةٍ، وذلكَ مثل «يتفعل» و«يتفاعل»،

والأسماءُ المشتقةُ منْها. والكلمةُ في اللغةِ العربيةِ تتأسسُ على الجذورِ والصيغةِ والاشتقاقِ والتصريفِ وفقَ إواليات محددةٍ:

- إواليةُ الإلصاقِ: باعتمادِ هذه الإواليةِ يتمُّ إلصاقُ الزوائدِ في بدايةِ الكلماتِ وتسمَّى سوابقٌ، أو نهايتُهَا وتسمَّى لواحقٌ.

- إواليةُ الانصهارِ: ويتحققُ هذا الانصهارُ بالتداخلِ بينَ حروفِ الزيادةِ ومعَ الحركاتِ والحروفِ الأصليةِ. فاللغةُ العربيةُ مبنيةٌ على التصريفِ والاشتقاقِ، أمَّا التصريفُ «فيتبيَّنُ منه الزمنُ: ماضيًا، ومضارعًا، ومستقبلًا، أو يتبينُ منه الجنسُ: مذكرًا، ومؤنثًا، أو يتبينُ منه العددُ: مفردًا، ومثنى، وجمعًا، وقد اسندتْ إلى المتكلمِ، ومخاطب، وغائب، وجمع من الذكورِ والإناثِ، أو يتبينُ منها التعيينُ: نكرة، ومعرفة» (بولحوش، 2015).

الجدول رقم (5): العلاقات التصريفية للفعل «كتب» في الماضي والمضارع

العلاقات التصريفية لفعل «كتب» في الماضي	العلاقات التصريفية لفعل «كتب» في المضارع
1- كتب (هو)	6- يَكْتُبُ (هو)
2- كَتَبَتْ (هي)	7- تَكْتُبُ (أنت)
3- كَتَبْتُ (أنا)	8- نَكْتُبُ (نحن)
4- كَتَبْتَ (أنت)	
5- كَتَبْنَ (هن)	

والاشتقاقُ نوعانِ: صغيرٌ وكبيرٌ، فالصغيرُ مثلُ تركيبُ /ك- ت- ب/ في: كَتَبَ، كُتُبٌ، كاتب، مكتوب، كتابة، مكتبة، كتيب، كتيبة، تكاتب، كتَّب...، أمَّا الاشتقاقُ الأكبرُ فهوَ أنْ تأخذَ جذرَ الفعلِ وتعقد عليْهِ وعلى تقاليبِه الستةِ معنًى واحدًا، تجمعُ التراكيبُ الستةُ ومَا يتصرفُ مِنْ كلِّ واحدٍ منْها عليه، مثلُ: (ك ت ب/ ك ب ت/ ت ك ب/ ت ب ك/ ب ك ت/ ب ت ك...)

مِنْ خصائصَ اللغةِ العربيةِ أنَّها لغةٌ اشتقاقيةٌ، وهذا الاشتقاقُ أكسبَها مرونةً ومناعةً في وقتٍ واحدٍ، فسمحَ لَها بخلقِ ألفاظٍ جديدةٍ. وتعدُّ صيَّغُ الأفعالِ وأوزانها في

العربيةِ عاملاً مِنَ عواملَ غنَى اللغةِ، والتي تمكنُها مِنَ الدلالةِ على فروقِ وظلالِ تضافُ إلى المعنَى الأصليِّ، فمَا الزيادةُ في المبنَى سوَى زيادةٌ في المعنَى.

مِنْ هنا نلاحظُ التفاعلَ الشديدَ بين المكوِّنِ الصوتيِّ والمكوِّنِ الصرفيِّ، وهذا التفاعلُ يتجلَّى في الظواهرِ الصرفِ-صواتية مثلُ: الإبدالِ، والإعلالِ، والحذفِ، والزيادةِ، والقلبِ، والإدغامِ، والإظهارِ... (بولحوش، 2015)

3.3 المعارفُ الصوتيةُ للوحداتِ الفوق -معجميةٍ

إنَّ الوحداتِ فوقَ المعجميةِ هي عناصرُ صوتيةٌ لسانيةٌ أكبرُ منَ الفونيمِ، منْ مثل: العبارة والجملةِ، والنصِّ القرائِيِّ، ونميزُ بيْنَ بعضِ الوحداتِ فوقَ -معجميةٍ مثلُ: التنغيمِ، والنبرِ، والوقفِ، والطولِ، والمقطعِ.

- **التنغيمُ L'intonation:** يطلقُ على منحَى الجملةِ اللحنيةِ، أيْ على ارتفاعِ الصوتِ في السلسلةِ الكلاميةِ. والحقيقةُ أنَّ التنغيمَ يدعمُ الجملةَ ونوعَها ويحددُ طريقةَ التواصلِ القائمِ بينَ المتكلمِ والمخاطبِ، وهوَ بذلكَ يميزُ في الجملةِ الواحدةِ دونَ أيِّ تغييرٍ في مكوناتِها الفونيميةِ، بيْنَ الصيغةِ الإخباريةِ (فاسُ مدينةٌ علميةٌ)، مثلا، والصيغةِ الاستفهاميةِ (فاسُ مدينةٌ علميةٌ؟)، أوِ التعجبيةِ (فاسُ مدينةٌ علميةٌ؟!)، أوِ الأمريةِ (فاسُ مدينةٌ علميةٌ)، أوِ الانفعاليةِ ...

- **النبرُ:** يرادُ بالنبرِ الضغطُ على مقطعٍ معينٍ منَ الكلمةِ ليصبحَ أوضحُ في النطقِ منْ غيرِه لدَى السامعِ، ويعرفُ أندري مارتني النبرَ «بأنَّه إبرازُ مقطعٍ صوتيٍّ فيما يسمَّى الوحدة النبرية، وهذه الوحدةُ هيَ في معظمِ اللغاتِ ما يُدعَى عادةً بالكلمةِ». (Martinet، 1979، p85)

- **الوقفُ Pause:** عمليةٌ يستعملُها المتكلمُ بغيةَ إفهامِ السامعِ المضمون الدلاليِّ للكلامِ، وغالبًا مَا يكونُ الوقفُ بالتسكين، كما أنَّ لهُ أشكالاً عديدةً منها: الوقفُ، والإشمامُ، والتضعيفُ، والرومُ، والنقلُ، والإلحاقُ، والحذفُ، والإبدالُ، والتضعيفُ... (للتفصيل أنظر حنون، 2010). وهو قطعُ النطقِ عندَ إخراج آخر اللفظةِ. (حنون، مبارك، 2010، ص: 74)، وقدْ يطولُ الوقفُ في الزمنِ أو يقصرُ، ولكنْ مدته تكونُ متناسبةً عكسًا مع عددِ وروده في

الكلامِ. والوقفُ يقومُ بدورٍ هامٍّ على صعيدِ الفصلِ بين المقاطعِ، وخاصةً في القرآنِ الكريمِ. مثل قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُحْزِنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلهِ ﴾ سورة يونس-الآية 65. ويستحسنُ أنْ يتوقفَ القارئُ عندَ لفظِ (قَوْلُهُمْۘ) حتَّى لا يتوهمَ السامعُ أنَّ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلهِ ﴾ منْ قولِ المشركينَ في هذا المقامِ (حنون، 2010، ص:74).

يتضحُ جليًّا أنَّ المعجمَ في العربيةِ يستدعِي عديداً منَ المعارفِ الصوتية في مستوياتٍ: معجميةٍ، وتحتَ-معجميةٍ، وفوقَ-معجميةٍ، والمعجمُ منعزلًا كانَ عنِ السياقِ أوْ منخرطًا فيه، لا يُدْرَكُ في عمقِه دونَ التركيزِ على هذه البنياتِ الداخليةِ. وأقصدُ بالبنياتِ الداخلية المعارف الصوتية، أيْ المعجمية، تحتَ-معجميةٍ، وفوق-معجميةٍ. وبتركيزِنا على المعارفِ الصوتيةِ في دراستِنا للمعجمِ الذهنيِّ، لا ينفِي أهميَّةَ الهرميةِ النحويةِ والصرفيةِ للوحداتِ المعجميةِ، والتي تظلُّ فاعلةً في توجيهِ تفاصيلها الدلاليةِ، ومنظمةً لطبيعةِ انتظامِها في المتواليةِ التي تردُّ فيها، ومحددةً لغاياتِ استعمالِها.

4. المعجمُ الذهنيُّ والمعالجةُ المعرفيةُ للمعارفِ الصوتيةِ

1.4 المعالجةُ المعرفيةُ للمعارفِ تحتَ-معجميةٍ

إذَا اعتبرْنا المعجمَ الذهنيَّ قاموسًا داخليًّا دقيقَ التنظيمِ، تؤلفُه مجموعةٌ منَ العلائقِ والاقتراناتِ بينَ الوحدةِ المعجميةِ وما تدلُّ عليه خصائصُها الصوتيةِ، والصرفيةِ، والتركيبيةِ، والدلاليةِ، والإملائيةِ، التي تحددُ خصوصياتِ الوحداتِ تحتَ -معجميةٍ، والمعجمية وفوقَ-معجميةٍ في أنظمتِها اللسانيةِ، التي تقتضِيها سيروراتٌ أوْ مساراتٌ الإنجازِ والإدراكِ اللغويِّ، فإنَّ النفاذَ والمعالجةَ المعرفيةَ للمعارفِ اللسانيةِ، وخصوصًا الصوتيةِ التي تؤلفُ اللغةَ المنطوقةَ، يتسمُ بخاصيةِ انتظامِ الوحداتِ الفونيميةِ. وهذا الانتظامُ مبنيٌّ على مبدأ الخفةِ، لأنَّ الفونيمات تنقسمُ إلى ثقيلةٍ وخفيفةٍ، وكلٌّ منها على درجةٍ متفاوتةٍ ثقلاً وخفةً، وأخفُّ الفونيماتُ (سألتمونيها)، والفونيماتُ القريبةُ في موضعِ النطقِ يمنع التأليفَ فيمَا بينَها، لثقلِها على اللسانِ، ف»القاف» و «الكاف»، وكذلكَ فونيماتُ أقصَى اللسانِ لا تتجاورُ البتةُ، فلا نقولُ «قج» ولا «جق» ...فالأحسنُ اعتمادُ الفونيماتِ ذات موضعِ النطقِ البعيدِ.

إنَّ هذه التنوعاتِ الفونيتيقيةِ للفونيماتِ ومواقعَها المختلفةِ داخلَ الوحداتِ المعجميةِ، وواقعَ التأليفِ والتجاورِ بين الفونيماتِ، وما ينتجُ عنْهُ منْ تأثيرِ نطقِ صوتٍ لغويٍّ ما في صوتٍ لغويٍّ آخرَ، وما يحصلُ بشأنِ الكيفياتِ المختلفةِ التي قدْ يتحققُ بها الصامتُ متبوعًا بمصوتة متمايزةٍ (فتحة، ضمة، كسرة)، وانتقالُ بعضِ الخصوصياتِ الفونيتيقيةِ منْ حرفٍ إلى آخرَ نتيجةَ مجاورةٍ قبليةٍ أوْ بعديةٍ، وارتباطُ بعضِ الحالاتِ التغيريةِ الفونيميةِ بسياقِ ورودِ الفونيماتِ داخلَ البنيةِ الداخليةِ للوحداتِ المعجميةِ، يكونُ سببًا في تسهيلِ عملياتِ النفاذِ إلى المعجمِ الذهنيِّ والمعالجةِ المعرفيةِ للمعلوماتِ تحتَ- معجميةٍ أو تعسيرِها.

إنَّ مقاطع اللغةِ العربيةِ هي الأخرَى تعلب دورًا مهمًّا في تنظيمِ المعجمِ الذهنيِّ والنفاذِ إليهِ ومعالجةِ المعلوماتِ تحت-المعجميةِ، بدليلِ أنَّ المقاطعَ في المواقعِ الاستهلاليةِ للوحداتِ المعجميةِ (بوعناني، 2006) تلعبُ دورًا مهمًّا في تنشيطِ مجموعةٍ منَ الوحداتِ المعجميةِ، بما فيها الوحداتُ المعجميةُ المطلوبُ التعرفِ عليها منْ قبلِ المعجمِ الذهنيِّ. كما أنَّ البنيةَ المقطعيةَ في اللغةِ العربيةِ (كما في اللغات الأخرى) تتحكمُ فيها مجموعة منَ القواعد لسهولةِ شروطِ تنظيمِها، والنفاذ إلى المعجمِ الذهنِّي وتقنينِ معالجةِ المعلوماتِ. منْ هذه القواعدَ نذكرُ:

- لا تبتدئُ بمصوتٍ ولا تنتهِي بصامتٍ.

- لا تبتدئُ بمصوتٍ قصيرٍ أو طويلٍ في الموقعِ الاستهلاليِّ للكلمةِ.

- لا تقبلُ التقاءَ ساكنينِ في الموقعِ الصوتيِّ الواحدِ.

لا تقبلُ وجودَ مقاطعَ صوتيةٍ بأكثرَ منْ صامتيْنِ متماثليْنِ تماثلاً مطلقًا (مبدأُ حظرِ تجاورِ المثلينِ المطلقيْنِ) (بولحوش، 2015).

2.4 المعالجةُ المعرفية للمعارفِ معجمية

تتأسسُ الوحداتُ المعجميةُ داخلَ المعجمِ الذهنيِّ على مجموعةٍ من القواعدَ الصوتيةِ-الصرفيةِ، التي تمكِّنُ من تحديدِ بنياتِها، صيغِها، دلالاتِها، وتمييزِ الأصلي منْها منَ الزائدِ وفقَ قواعدِ تكوينِ الكلماتِ وصياغتِها، التي تتأسسُ على الجدور والزوائدِ معا، فوقَ مجموعةٍ من الإواليات كموالية الإلصاقِ والانصهارِ (للتفصيل أكثرَ راجعْ المحورَ

المعارفِ الصوتيةِ للوحداتِ المعجميةِ من نفسِ المقالِ). إنَّ هذه القواعدَ التنظيميةَ داخلَ الوحداتِ المعجميةِ تلعبُ دورًا هامًّا في تنظيمِ وتنشيطِ والنفاذِ إلى المعجمِ الذهنيِّ ومعالجة المعلوماتِ المعجميةِ.

إنَّ الوحدات المعجميةِ ترتبطُ بالمقتضَى المفهوماتيِّ وبالبنيةِ التصوريةِ التي تميزُها عنْ وحداتٍ معجميةٍ تقيدُها علاقاتُها بالوحداتِ المعجميةِ الأخرَى ومَا تدلُّ عليه وفقَ دلالاتٍ مختلفةٍ: وظيفية، موسوعية، سياقية، توزيعية (للتفصيلِ أنظرْ المحورَ الأولَ المعجمِ الذهنيِّ: تحديداتٌ أوليةٌ، والرسمُ رقم (5)).

3.4 المعالجةُ المعرفيةُ للمعارفِ فوق-معجميةٍ

تتأسسُ الوحداتُ فوق-معجميةٍ داخلَ المعجمِ الذهنيِّ على مجموعةٍ منَ القوانين والأحكامِ تنظمُ الترابطاتِ والتآلفاتِ بين العناصر اللغويةِ وتضمنُ لها الاطرادَ والانتظامَ، وتنضبطُ لها الوقائعُ اللغوية وظواهرُها المختلفةِ في كلِّ مقامٍ وسياقٍ. إنَّ القدرةَ على القيامِ بإدراكِ وإنجازِ وحداتٍ لغويةٍ فوق-معجميةٍ مرتبطٌ بتحقيقِ سيروراتٍ ومساراتٍ فونولوجيةٍ مرتبطةٍ بتنشيطِ المعارفِ الصوتيةِ داخلَ المعجمِ الذهنيِّ في مستوياتٍ مختلفةٍ، تتقاطعُ فيها العناصرُ تحت-معجميةٍ، والمعجميةُ، وفوق-معجميةٍ على حدِ سواءٍ. وهذا ما يؤكدُ أنَّ إدراكَ وإنجازَ المعارفِ الصوتيةِ، وتنظيمها، وتنشيطها والنفاذَ إليها متحققٌ بتطبيقِ هذه القواعد بصيغٍ تفاعليةٍ متناهيةِ الدقةِ والضبطِ والسرعةِ وفقَ السياقِ التواصلِّي، والرسمُ رقم 12 أسفلُه يبينُ أهميةَ تفاعلِ القواعد المنظمةِ للوحداتِ اللغويةِ داخلَ المعجمِ الذهنيِّ:

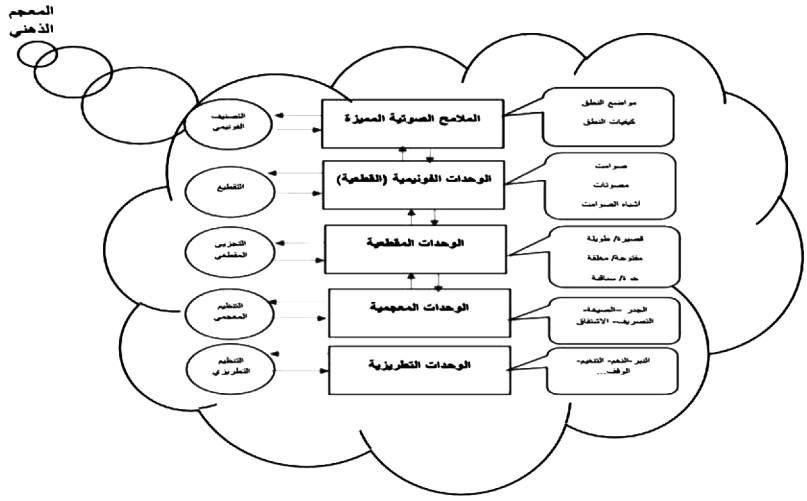

الرسمُ رقم 12. يبين أهمية تفاعلِ القواعد المنظمةِ للوحداتِ اللغويةِ داخل المعجمِ الذهنيِّ.

كمَا يستدعِي التنشيطُ السليمُ للسيروراتِ/ المساراتِ المعرفيةِ التي تحكمُ أبعادَ اشتغالِ الوحداتِ فوق-معجميةٍ في الذهنِ تحقيق المماثلاتِ بنوعيها: الكليةِ والجزئيةِ، استجابةً لمبدأ «أقل جهد عضلي». كما أنَّ القدرةَ على تعيينِ الحدودِ التي تتمفصلُ من خلالِ المتواليات اللسانيةِ، وتنتظمُ وحداتُها بموجبِ ما تدلُّ عليه من استخلاصِ كلِّ الإمكانياتِ الدلاليةِ التي يعبرُ عنها تمفصلِ دونَ آخرَ، مثل:

طرقتُ البابَ حتى كلَّ متني ولما كلَّ متني كلّمتني

فبحسبِ إسنادِ النبرِ وتعيينِ حدودِ المتواليةِ اللسانيةِ، نستطيعُ التمييزَ في البيتِ الشعريِّ بين وحدتينِ معجميتينِ متشابهتينِ إملائيًا لكنْ مختلفتينِ من ناحيةِ الدلالةِ؛ إذْ الوحدةُ المعجميةُ الأولى حاملةٌ للدلالةِ المتضمنةِ في (كلَّ متني) أيْ: (تعب ساعدي)، والوحدةُ المعجميةُ الثانيةُ حاملةٌ لمعنَى مغايرٍ متضمنٍ في (كلَّمتني) أي: (حدثتني).

فإسنادُ النبرُ وتعيينُ الحدودِ في المتواليةِ اللسانيةِ، له أهميةٌ كبيرةٌ في النفاذِ إلى المعجمِ الذهني والتعرفِ على الوحداتِ اللسانيةِ وتعيينِ دلالاتِها، بالرغمِ منَ التشابهاتِ الإملائيةِ.

إنَّ تغييرَ الموسيقَى الخاصة بالجملةِ وطبقاتِ العلوِ اللحنِي لكلِّ مقطعٍ، ارتباطًا بمتغيراتٍ تقترنُ بالوظائفِ الخاصةِ بالإنجازِ اللغويِّ (الوظيفة الشعورية، الإنفعالية،

التأثيرية، أو مواقف مقامية - سياقية) المتمايزةِ، وقدْ تكون وظائف يختصُ بها الفعلُ اللغويُّ نفسُه؛ حيث يعبرُ عنِ التقريرِ، أوِ الاستفهامِ، أو التعجبِ، أو الاستفهامِ الاستنكارِي حسبَ ما يفرضُه التنظيمُ الهرميُّ للوحداتِ المعجميةِ. فبمجردِ تغييرِ لحنِ -أيْ تنغيمُ- الوحداتِ المعجميةِ دونَ المساسِ بمكوناتِها ولا بطريقةِ تنظيمِها وترتيبِها، تنتقلُ منَ الجملةِ التقريريةِ: (المغرب دولة جميلة) إلى جملةٍ استفهاميةٍ: (المغرب دولة جميلة ؟) إلى جملةِ الاستفهامِ الإنكارِي: (المغرب دولة جميلة ؟!) إلى جملةِ التعجبِ: (المغرب دولة جميلة!).

لذلكَ فإنَّ التنغيمَ أو تغييرَ موسيقَى أو لحنِ الوحداتِ فوق-معجميةٍ يلعبُ دورًا مهمًّا في تعيينِ الدلالاتِ المناسبةِ وتنشيطِ سيروراتِ / مساراتِ المعالجةِ المعرفيةِ للوحداتِ فوق-معجميةٍ، للنفاذِ السلسِ للمعجمِ الذهني، وبالتالي الإدراك والإنجاز.

خلاصاتٌ واستنتاجاتٌ:

إذَا كانَ المعجمُ الذهنيُّ مخزونَ المعارفِ حولَ الوحداتِ المعجميةِ، فإنَّ فهمَه هوَ فهمٌ لبنيةِ اللغةِ ولمكوناتِها اللسانيةِ (الصوتية - الصرفية - التركيبة - الدلالية - التداولية)، وأشكالِ تآلفاتِها وكيفياتِ اشتغالِها وانتظامِها والنفاذِ إليها، وكيفياتِ إدراكِها وإنجازِها. وهذا الأمرُ يتطلبُ دراسةَ المعجمِ الذهنيِّ بوصفه ملكةً معجميةً، وليسَ آلةً، كمَا أنَّ فهمَ طبيعة المعجم الذهنيِّ ونشاطاتِه مرتبطٌ بتكوينِ تصورٍ عامٍ يجمعُ بينَ مقوماتِه وبنيتِه وخصائصِه، بوصفِها جزءًا لا يتجزأُ منْ نشاطاتِ الجهازِ المعرفيِّ ككلٍّ.

لقدْ تأكدَ لنا من خلالِ ما عرضنَاه القيمة التي تكتسبُها المعارفُ الصوتية ُ (المعجمية - تحت-معجمية - فوق - معجمية) في كلِّ إدراكٍ وإنجازٍ لغويٍّ. وسلامةُ التكوينِ الفونيتيقِي والفونولوجِي لكلِّ إنجازٍ لغويٍّ رهين بالإدراكِ والتمثلِ الكاملِ والصحيحِ للمعارفِ الصوتيةِ بكلِّ تفاصيلِها داخلَ المعجمِ الذهني، هذا الأمرُ يستلزمُ سيروراتٍ/ مساراتٍ بالغةَ الدقةِ تكونُ قادرةً على التعاملِ مع المعلوماتِ الصوتيةِ وفقَ استراتيجيات موسومة بالنجاعةِ والدقةِ والضبطِ.

تؤكدُ كلُّ المعارفِ الصوتيةِ (المعجمية - تحت-معجمية - فوق - معجمية) وأشكالُ التفاعلِ والتكاملِ بينها أنَّ المعجمَ الذهني متعدد القنواتِ التي تؤمنُ آلياتِ اشتغالِه، تتحددُ فعاليةُ هذه القنواتُ المختلفةِ منَ النفاذِ إلى المعجمِ الذهني وفق اعتباراتٍ خاصةٍ تفرضُها طبيعةُ المعارفِ الصوتيةِ، وإقامةُ العلاَئقِ الضروريةِ في كلِّ هذه المعارفِ الصوتيةِ المتضمنةِ في المعجمِ الذهني بشكلٍ صحيحٍ ينسجمُ بشروطِ تطبيقِ القوانين الصوتيةَ وسلامةَ التكوينِ والمعرفة الفونيتيقية والفونولوجية، كإدراكِ وإنجازِ كلِّ الوحداتِ الصوتيةِ للغةٍ مستقلةٍ عن بعضِها البعضِ، ومتآلفة فيما بينها، وتقطيعها أيضا، والقدرةُ على استقراءِ أحوالِ ورودها وتواردها في السياقات المختلفة التي تنتج عنها قوانين الائتلاف والاختلاف، على سبيل المماثلة بنوعيها: التامة والجزئية، أو المخالفة، أو المشاكلة...، وتحقيق التغيرات الصوتية التي تمس الأصوات اللغوية من خلال تعيين الحدود التي تتمفصل من خلالها المتواليات اللسانية، وتحقيق الموسيقى أو الألحان المناسبة تبعا للسياقات الملائمة.

إنَّ تأكيدَنا على أهميةِ المعارفِ الصوتيةِ (المعجمية - تحت-معجمية - فوق-معجمية)، هو في حدِّ ذاتِه تأكيدٌ على أهميةِ المعجمِ الذهنيِّ واشكال التفاعلِ والتكاملِ المقررةِ بينهما في الإدراكاتِ والإنجازاتِ اللغويةِ في جميعِ السياقاتِ اللغويةِ التواصليةِ بشكلٍ عامٍ.

تكمنُ أهميةُ البحث في العلاقةِ المتفاعلةِ والمتكاملةِ بين المعجمِ الذهنيِّ والمعارفِ الصوتيةِ بشكلٍ خاص، والمعارفِ اللسانيةِ بشكلٍ عامٍ، في انفتاحِه على العمليةِ التعليميةِ - التعلميةِ من خلال:

- أهميةِ المعجمِ الذهنيِّ في تطويرِ العمليةِ التعليميةِ-التعلميةِ.

- أهميةِ المعجمِ الذهنيِّ لدَى المتعلمِ ضمنَ سيروراتِ اكتسابِ اللغةِ وفهمِها وإدراكِها وإنجازِها.

- الصلةِ الوثيقةِ بينَ قضايَا المعجمِ والتوجهاتِ الديداكتيكيةِ لتعليمِ اللغةِ الأولى والثانيةِ، والتي ترتبطُ بالاستراتيجياتِ التي يمكنُ أن نتعلمَ بها الوحدات المعجميةَ في أقصرِ وقتٍ وبأقلِ تكلفةٍ لسانيةٍ ومعرفيةٍ ممكنةٍ.

- أهميةِ تدريسِ مكونِ المعجمِ في جميعِ المستوياتِ الدراسيةِ، والتركيزِ على المستوياتِ الابتدائية لما لها من أهميةٍ في فهمِ وإدراكِ اللغة ِوإنجازِها وانتظامِها في الذهنِ.

- الحاجةِ إلى بلورةِ استراتيجيةٍ جديدةٍ لتعليمِ المكونِ المعجميِّ، معَ ما يقتضِيه بناءُ اللغةِ الداخليِّ منْ معلوماتٍ لسانيةٍ، وما يتيحُه تفاعلُه مع مكوناتٍ أخرَى من فهمٍ صحيحٍ لاشتغالِ النظامِ اللغويِّ.

المراجع

❖ مراجع عربية

- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ب.ب). الخصائص. تحقيق، محمد علي النجار. بيروت، لبنان. دار الكتاب العربي.
- ابن جني،أبو الفتح عثمان. (1993). سر صناعة الإعراب. تحقيق، د.حسن هنداوي. الطبعة 2. دمشق. دار القلم.
- ابن يعيش (ب.ت): «موقف الدين شرح المفصل». عالم الكتب. بيروت.
- بوعناني، م وبلمكي، هـ (2013): «الديداكتيكا المعرفية ومسارات تعليم القراءة والكتابة وتعلمهما: «مجلة أبحاث معرفية» إشراف مصطفى بوعناني وبينعيسى زغبوش. منشورات مختبر العلوم المعرفية، رقم:3. ص ص: 11-16.
- بوعناني، مصطفى (2006): «أهمية المعجم الذهني في الإنجاز والإدراك اللغويين: المعالجة المعجمية والتحت معجمية للوحدات اللغوية». مجلة الطفولة العربية، م:7، ع: 28، ص ص 43-58.
- بوعناني، مصطفى. (2010). اللسانيات المعرفية: بعض المظاهر المعرفية لمسارات اشتغال العربية، ضمن اللغة العربية والنظريات اللسانية: الحصيلة والأفاق.منشورات ماستر اللغة العربية والنظريات اللسانية ومختبر التواصل وتقنيات التعبير. كلية الأدب والعلوم الإنسانية سايس.
- بوعناني، مصطفى. (2012). المعجم الذهني في اللسانيات المعرفية، مكوناته، وأبعاد انتظامه، ومسارات النفاذ إلية. أبحاث معرفية. ع، 1. منشورات مختبر العلوم المعرفية.
- بولحوش فاطمة وبوعناني، م (2011): «أهمية الوعي ببعض الظواهر الصوتية في تحقيق التواصل اللغوي السليم: الإدغام نموذجا». منشورات مختبر العلوم المعرفية، الكتاب رقم1. ص ص213-227.
- بولحوش فاطمة، مصطفى بوعناني (2018): «الكتابة العربية: مظاهر تأثير الوعيين الفونولوجي والمورفولوجي على الوعي الإملائي»، أبحاث معرفية: العدد 9، ص ص 121-155، منشورات مختبر العلوم المعرفية LASCO.
- بولحوش، فاطمة (2015): «أهمية الوعي الفونولوجي في تدعيم مسارات تعلم القراءة الجهرية وتعليمها عند تلاميذ القسم الثاني ابتدائي». أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات العربية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ظهر المهراز، تحت اشراف د. مصطفى بوعناني.
- بولحوش، فاطمة. (2009). الإدغام في الفكر اللغوي العربي والفونولوجيا المستقلة القطع نموذجا. بحث لنيل شهادة الماستر في اللسانيات العربية. جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية سايس-فاس.
- زاهيد، عبد الحميد. (2000). الصوت في الدراسات النقدية والبلاغية والتراثية والحديثة. سلسلة

الصوت. الطبعة 1. مراكش. المطبعة والوراقة الوطنية.

- زغبوش، بنعيسى (2004): «مساهمة البحث السيكولوجي في تأسيس العملية التعليمية التعلمية، ذاكرة الطفل المعجمية نموذجا» مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز-فاس. العدد 13.
- زغبوش، بنعيسى(2005):«استراتيجيات التعلم، وتعلم الإستراتيجيات ». دفاتر، مركز الأبحاث والدراسات النفسية والإجتماعية. العدد 3.
- زغبوش، بنعيسى. (2002). النفاذ إلى الذاكرة المعجمية ووظيفتها في فهم اللغة العربية عند الطفل. مجلة الطفولة العربية. العدد12. المجلد 3.
- زغبوش، بنعيسى. (2004). مساهمة البحث السيكولوجي في تأسيس العملية التعليمية التعلمية. ذاكرة الطفل المعجمية نموذجا. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز-فاس. العدد 13.
- زغبوش، بنعيسى. (2005). استراتيجيات التعلم، وتعلم الإستراتيجيات . دفاتر، مركز الأبحاث والدراسات النفسية والإجتماعية. العدد 3.
- زغبوش، بنعيسى. (2008 أ). الذاكرة واللغة : مقاربة علم النفس المعرفي للذاكرة المعجمية وامتداداتها التربوية. إربد. عالم الكتب الحديث.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. (1983). الكتاب. تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الفراهيدي الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد (ب. ت). معجم كتاب العين. تحقيق د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي. العراق. دار الرشيد للنشر.
- كريم الله كبور. (1988). الأبعاد النظرية لظواهر الانسجام الصوتي في اللغة العربية. في وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب. عكاظ.
- مبارك، حنون. (2003). في الصواتة الزمنية. الوقف في اللسانيات الكلاسيكية. الطبعة 1. الرباط. دار الأمان.
- مبارك، حنون. (2010). في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، نموذج الوقف. الطبعة الأولى. الدار العربية للعلوم ناشرون. المغرب.دار الأمان.

❖ مراجع غربية

- Bajrić S., 2013. Linguistique, cognition et didactique : principes et exercices de linguistique didactique,
- Bezu, P., 2009. Construction des premières compétences orthographiques : proposition d'un schéma
- Bouanani, M. 2013. Production du langage arabe et processus d'accès au lexique mental. Colloque international organisé par : Le Centre de Recherche Scientifique et Technique pour le

- Collins, A.M ; Quillian, M.R. (1969), A Retrieval time fromsemantic memory, Journal of Verbal Learning and Behavior ; 9.
- Forster, K. (1976),Accessing the mental lexicon. In R.Wales&E.Walker,sds, New Appoaches to language Mechanisms Amstedam : North-Holland.
- Forster,K, Chambers, S. (1973) ,Lexical access and naming time. Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior ; 12.
- Kuo, L. - J. & Anderson, R. C. 2006. Morphologicalawareness and learning to read: A cross-language
- Lesgold, A., Resnick, L. B., & Hammond, K. 1985. Learning to Read: A longitudinal study of wordskill
- MacKinnon & T. G. Waller (Eds.), Reading research: Advances in Développement de la Langue Arabe (CRSTDLA), Alger en collaboration avec le laboratoire d'Etude de l'Apprentissage et du développement (LEAD) de Bourgogne -France- sur le thème : « lexique mental ».décembre 2013.
- Marec-Breton, N., Besse, A.S., Royer, C. 2010. La conscience morphologique est-elle une variable
- Marie-Line Bosse et Sébastien Pacton .2007La mémorisation de l'orthographe des mots lus en CM2 :
- Marslem-Wilson W. (1992), Acces and Integration : Provecting Sound onto Meaning, in W. Marslem-Wilson (ed), Lexical Representation and Process, Massachusetts : MIT.
- Rieben & C. Perfetti Scripteurs. Le Langage et l'Homme, vol. XXXVIII, n° 2 (décembre 2003).
- Sabater C., Rey V. 2005. De l'ortho-phonie à l'ortho-graphe : le cas de la dictée L2MA. Glossa, 92, 4-21.
- St-Pierre, M-C, Dubé, J-F, Croteau, M., Bourque, M-N. 2013. Quand la grammaire sait plaire,
- Zhang, D., Koda, K., 2012. Contribution of morphologicalawareness and lexical inferencingability to
- Zhang, D., Koda, K., 2013. Morphological awareness and reading comprehension in a foreign (Eds), L'apprenti lecteur. Recherches empiriques et implications pédagogiques (pp.173-196). Neuchâtel :
- And withoutdyslexia. Reading and writing: An Interdisciplinary journal, 17, 567-591.
- - Casalis, S. 2003. Le codage de l'information morphologique dans l'écriture de mots chez les apprentis Delachaux et Niestlé. Development in tow curricula. In G. E.
- - Segui, L& Ferrand, L (2000) : Leçons de parole. Paris Odile Jacob.
- - Segui, J (1992) : « Le lexique mentale et l'identification, des mots écrits code d'accès rôle du contexte». In : Langue française, N°95. pp : 69-79

المعجم الطبي العربي
كتاب الماء للأزدي نموذجا

د.عبدالإله بوغابة
كلية الآداب، القنيطرة، المغرب

ملخص:

نتناول في هذه الدراسة نموذجاً لمعجمٍ لغويٍّ طبيٍّ غنيٍّ من حيث مادته، وطريفٍ من حيث منهجيته في التعريف والتمثيل، فضلاً عن كونه يتراوح بين منحى الاصطلاح ومنحى التفسير والتحليل. كما يستحيل التعريف عنده، في مواطن كثيرة، بحثاً في الموضوع ومناقشةً لمجمل معطياته. ويتعلق الأمر بكتاب الماء للأزدي.

Abstract

In this study we deal with a model for of a rich medical linguistic dictionary in terms of its subject matter, and interesting in terms of its methodology of definition and representation, in addition to its being between the terminology approach and the interpretation and analysis approach, where it is impossible to define for him, in many places, in search of the subject and a discussion of all of its data It is related to the book of water by Al-Azdi.

تمهيد :

يزخر التراث المعجمي العربي بمصادر ثمينة تكشف عن مقدار الجهد المعرفي المبذول في سبيل تنظيم المادة اللغوية سواء أتعلق الأمر بالمعجم العام أم **بالمعاجم القطاعية**، ولا يخفى في هذا الإطار المتن الذي يمثله المخصص وفقه اللغة للثعالبي واللسان وغيرهم.

في خضم الإشكالات النظرية والتطبيقية التي يثيرها البحث اللساني المعاصر بكل أبعاده، يطرح مشكل المتن المعجمي والاصطلاحي من جهة التوليد والمعيرة والتعريب والترجمة، إزاء فقر في الاصطلاح لا يسعف اللغة العربية في مواكبة التغيرات المتوالية لمجالات اقتصادية ومعرفية عدة. الأمر الذي يجعلنا أمام استراتيجيات مختلفة من بينها اعتماد المتن المعجمي والاصطلاحي الوارد في المعجمات العربية القديمة لسد الثغرات مع توظيف آليات مختلفة لتقريب المعاني الوظيفية والتداولية، ولا شك أن هذا العمل يقتضي جملة من الشروط منها:

1- تنظيم المتن المعجمي والاصطلاحي وفق الحقول التصورية والتداولية.

2- رصد المعاني الفرعية داخل الحقول المختلفة.

3- تقريب الحقول والمعاني المختلفة من المستجدات والمستحدثات.

4- سد الثغرات في المعاني الفرعية والوظيفية

لا نشك أن هذا المرمى صعب المنال، ولا يمكن بلوغه إلا في إطار عمل متكامل وفي ظل تصور عميق للنظرية المعجمية والمصطلحية .[1]

في هذه الدراسة نود تقديم نموذج لمعجم لغوي طبي غني من حيث مادته وطريف من حيث منهجيته في التعريف والتمثيل، فضلا عن كونه يتراوح بين منحى الاصطلاح ومنحى التفسير والتحليل، حيث يستحيل التعريف عنده، في مواطن كثيرة، بحثا في الموضوع ومناقشة لمجمل معطياته، يتعلق الأمر بكتاب الماء للأزدي.[2]

(1) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص، 3-17

(2) انظر للبحث في دقة المصطلح العلمي العربي مقالة للدكتور زهر الدين رحماني «إشكالات صياغة المصطلح في المعجم العلمي العربي» مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل 2017.

ظهر كتاب الماء سنة 1996 في ثلاثة مجلدات، حيث تزيد صفحاته عن الألف وأربعمائة، وهو في الأصل نسخة مخطوطة في مجلدين عدد صفحاتها لا تتجاوز 864 صفحة، وقد حقق المخطوط حسن هادي حمادي اعتمادا على نسختين حصل عليهما من مكتبة الشيخ ابن عاشور.

وقد حظي الكتاب باهتمام بالغ من قبل المؤسسات الثقافية المختلفة، وكان له تأثير بالغ على المجال المعجمي بصفة عامة إلى جانب ذلك اكتسب هذا الكتاب أهميته من خلال طبيعة المتن المرتبط بمجال الطب واللغة على حد سواء، فهو معجم يعرض للكلمة من الناحية اللغوية جذرا وجذعا ثم يحدد معناها في الاصطلاح الطبي، كما يتميز أيضا بالوقوف عند الكلمات ذات الأصل المعجمي الأعجمي ويعرف بمعناها وقد يحيل على المصادر التي استقى منها تلك الكلمات وعلّة إبقائه على صيغتها دون تعريب.[3]

من جهة أخرى يتيح هذا الكتاب الاطلاع على لائحة من المصطلحات التي تحيل على أنواع شتى من النباتات الطبية.

إن أهمية الكتاب وقيمة إخراجه ظاهرة لا مراء فيها، **إنه** كنز زاخر يجمع بين اللغة والطب باختصار غير مخل ولا تطويل ممل. [4]

مؤلف الكتاب هو محمد بن عبد الله أبي محمد الأزدي ويعرف بابن الذهبي، أحد المعتنين بصناعة الطب ومطالعة كتب الفلسفة، وكان ولوعا بصناعة الكيمياء مجتهدا في طلبها، وقد توفي ببلنسية من ديار الأندلس في جمادى الآخرة سنة 456 هـ ولابن ذهبي مقالة في أن الماء لا يغدو «لا يطيب»[5]

من بين الجوانب غير المعروفة في حياة المؤلف أنه ولد في صحار مدينة من مدن عمان، وانتقل من عمان إلى العراق حيث التقى بالطبيب أبي الحسن الحوراني الذي كان مقيما ببغداد وتجلى ذلك من خلال ما أورده في الكتاب من مشاهداته في البصرة وبغداد. من نباتات وعادات، ثم عرج بعد ذلك على بلاد فارس، ويذكر بهذا الخصوص

(3) الأزدي الصحاري، كتاب الماء، المقدمة، ص:17

(4) نفسه، المقدمة، ص: 38

(5) الأزدي الصحاري، كتاب الماء، المقدمة، ص: 41

البيروني كما يذكر ابن سينا معتزا بمكانته العلمية، وكانت وجهته بعد ذلك مصر التي لم يمكث بها كثيرا ثم توجه إلى المغرب العربي فالأندلس حيث توفاه الله.[6]

من حيث البنية الداخلية، يعد كتاب الماء معجما طبيا لغويا منظما على حروف الألفْبَاء حيث ابتدأ بالهمزة وانتهى بالياء، و«جعل مواده خالصة للطب أحيانا، وجامعة بين الطب واللغة أحيانا أخرى، وإن كان في أحيان قليلة تغلبه اللغة فيكتفي بذكر المعنى اللغوي للجذر حين لا يجد له معنى طبيا وهذا قليل جدّاً. [7]

لقد انصرف المؤلف إلى ذكر الأمراض والعلاجات وأسماء الأدوية انطلاقا من تحديد الجذر اللغوي الذي اشتقت منه أسماء تلك الأدواء والعلاجات والأدوية، وسلك ذلك المسلك تسهيلا على الطبيب والباحث اللغوي لمعرفة المصطلح. كما عرض هذا الكتاب القيم لبعض الأمراض النفسية كالكآبة والإحباط والقلق والتي وردت بمصطلحاتها القديمة كالهذيان والنسيان وغيرهما، كما فصل في ذكر النباتات التي تصلح للعلاج مذكرا بفوائدها وأغراضها الوظيفية ويلخص المؤلف حكمة تأليفه للمعجم كما يلي : «يقول «وبعد لما رأينا أبا عبد الرحمن الخليل بن أحمد قد أغرب في كتاب العين فبز بها من كان قبله وعنى به من جاء بعده، وجعله خالصا للغة العرب وبيانها وأحصر فيه ألفاظها ومعانيها وسماه بأول أبوابه، ولما كان الغالب على أبناء صنعتنا اللحن والغلط، وقد تفشت فيهم العجمة والشطط، عزمت أن أكتب كتابا يجمع بين الطب والعربية، ويضم الأمراض والعلل والأدواء، وما يجب أن تتأتى لها من العلاجات والأدوية، فأنشأت كتابي هذا على حروف اللغة مبتدئا بالهمزة فالباء والتاء حتى آخر الحروف ورتبته على الثلاثي في جميع مادته تيسيرا للطلب وتسهيلا لمن رغب وسميته كتاب الماء باسم أول أبوابه 52»[8].

الواضح أن المؤلف يستند إلى رؤية علمية دقيقة على مستوى الاشتقاق اللغوي للمصطلح والتحديد العلمي له، فهو لا يحيد عن احترام الضوابط المحددة للاشتقاق في اللفظ وفي الاصطلاح مركزا على عنصر الدقة والاختصار.

(6) الأزدي الصحاري، كتاب الماء، المقدمة، ص42
(7) نفسه، ص: 47
(8) كتاب الماء، ص: 52.

فضلا عن ذلك يتضح من مقدمة الكتاب أن للكاتب نزوعا تواصليا ووظيفيا يناظر ما يشغلنا اليوم، ويتعلق الأمر بأثر الازدواجية اللغوية وأثرها على الاستعمال الفصيح، حيث يقول»

فقد بلغنا عن أطباء عصرنا وصيادلته وعطاريه وأهل الجراحة والتشريح والكحالين ما بلغنا من خروجهم على لغة العرب وتفضيلهم لكلام العجم يتمادحون بذلك فيما بينهم ويغمضون فيه أمام مرضاهم إظهارا لقدرة لا تستحق الإظهار وعجمة لا تستوجب الافتخار ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾ (النحل 103). فجهدت أن أعيد الأعجمي من لفظ الأطباء إلى رسوم العرب[9].

على مستوى مضمون الأجزاء المكونة للكتاب، نشير إلى أن المؤلِف صَدَّر الجزءَ الأول بمقدمة ركز فيها على قيمة الصحة في الأبدان والسلامة في اللغة وحدد في المقدمة رغبته في عرض خلاصات معارفه الطبية التي أفاضها الشيوخ عليه في شكل معجم يضم الطب النافع والمعنى الشافي «الحمد لله الذي ابتدع بقدرته الخلق ابتداعا، واخترعهم على مشيئته اختراعا، وجعل لكل منهم قوتا معلوما، ورزقا مقسوما، فأجرى عليه طيبات العافية وهنيات الرزق واختار له من محاسن الخلق»[10].

مباشرة بعد ذلك، خصص مقدمة مختصرة للماء فذكر سياقات ورود الماء في القرآن الكريم، وعدد أنواع الماء وتقلباته في الأنهار والوديان والعيون، ينتقل إلى الحديث عن الشرب وأحواله، كقوله «وفي شرب الماء عند الانتباه ليلا تفصيل فإن المحرور الجافَّ المعدة، ومن تعشى وأكل طعاما مالحا فله أن يشرب عند انتباهه من نومه، وأما رطب المعد وأصحاب البلغم المالح فلا يصح أن يفعل ذلك»[11].

بعد هذه المقدمة التي تكشف عن قيمة الماء وأحواله المختلفة في الجسد والطبيعة والكون، يبدأ في عرض المداخل المعجمية ويعتمد على الثلاثي من الأفعال مصدرا للاشتقاق، حيث يضم باب الهمزة حوالي 135 مدخلا معجميا تتراوح بين الكلمات العربية الأصيلة وبين الكلمات الأعجمية، حيث يعتمد في التعريف على تقديم المعنى

(9) كتاب الماء، ص: 55.
(10) كتاب الماء، ص: 91.
(11) نفسه، 103.

اللغوي ابتداء كما يعرض للكلمة في القرآن الكريم لينتقل إلى التعريف الاصطلاحي مجملا. نورد بعض الأمثلة من هذا الباب للتوضيح:

- أبب، الأب الكلأ وهو المرعى، قال تعالى «**وفاكهة وأبا**» الفاكهة ما أكله الناس والأب ما أكلته الأنعام
- الأبت، اشتداد الحر ودواء ابت مسخن وأبت الرجل من الشراب انتفخ، وعلاجه القيء حتى تعود الطبيعة إلى ما كانت عليه.[12]
- من الألفاظ الفارسية الواردة في نفس الجزء: أخسندوكين وهو المستشفى في اللغة العربية.[13]
- أزاردخت وهو فارسي يطلق على شجر من عظام الشجر لا يستعمل لشدة حرارته، وله ورق تستعمله النساء لتطويل الشعر «اسطقس، وهو اسم يوناني يقصد به مكونات الأبدان.»[14]

من جهة أخرى يضم حرف الباء أكثر من 190 مدخلا معجميا واصطلاحيا، ويتميز بكونه أكثر غنى من ناحية المعطيات والمعلومات حيث يلاحظ أن الكاتب لم يسلك فيه مسلك الاختصار، بل راح يفصل في بعض المواضع اعتبارا لأهميتها حين يبدأ بالبؤبؤ ويعرفه بإنسان العين، وبأباة الدواء غليانه على النار وجيشانه في بدن المريض».[15]

- «البابونج وهو نبات له أغصان وورق صغير دقيق ورأس صغير مستدير وزهر مختلف الألوان منه الأصفر ومنه الأبيض وهو مفتح للسدد ومحلل ومقو للأعضاء العصبية كلها وللدماغ ويذهب اليرقان ويدر البول والطمث».
- «البتك، استئصال الأذن»[16]

(12) كتاب الماء، ص: 107.
(13) نفسه، ص: 117.
(14) نفسه 136.
(15) نفسه، ص:181.
(16) نفسه: 183.

إن من أهم الملاحظات أن هذا المعجم يستند إلى جملة من الضوابط التي تكشف عن تصوره العام لحقل الطب، وكيف تتفاعل المعطيات العلمية مع القيود اللغوية المختلفة التي يحددها أي نسق لغوي. من بين هذه الضوابط ما يلي:

1- ضبط الأصل اللغوي للكلمة من خلال المصادر والمعاجم المعروفة.

2- تعريف الكلمة في مجال الطب أو المجالات المرتبطة به كالصيدلة والنباتات الطبية اعتمادا على المصادر العلمية الموثوقة

3- عرض أحوال الظواهر انطلاقا من التجربة الطبية، حيث لا يقف عند مجرد التحديد، بل يراهن على تفسير الظاهرة وتحولاتها وما يعلق بها في أحوالها المختلفة.

4- الوقوف عند الاختلالات المرتبطة بالظاهرة في الطبيعة والإنسان.

إن معجم الماء هو ذخيرة لغوية جد مهمة تحتاج إلى دراسة مفصلة تسعف إلى حد كبير في تنخيل مادته واستثمار المهم منها في إغناء المعجم الطبي العربي المعاصر.

ولبيان غنى الحقول الدلالية التي تحيل عليها مادة كتاب الماء، ومدى أهميتها في تنظيم المعجم الطبي بكل أبعاده، نسوق في هذا الجدول أمثلة من باب الهمزة، **كأساس** متابعة العمل في بحث أكثر تفصيلا.

الأحوال	الخلق	الحيوان	النبات
الأبت: اشتداد الحر	الإبرة: عظم وترة العرقوب وهو عظم لاصق بالكعب والإبرة من الإنسان طرف الذراع	الإبد الوحش أوابد	الأب: وهو المرعى. الأب ما أكلته الأنعام
دواء أبت: مسخن	الإباض المأبض، باطن الركبة	الابس: السلحفاة	ابريسم وهو نافع جدا في منع تولد القمل
أبت الرجل: انتفخ	الإبط: باطن المنكب	أبلت الوحوش: اجتزات عن الماء	الأبق: قشر القنب
الأبن: المأبون، المصاب بالأبن			الإبالة: الحزمة من الحطب

يشكل هذا الجدول نموذجا مصغرا لتصور عمل يستهدف تنظيم مادة الكتاب وفق حقول فرعية، مع مراعاة مبدأ المعجمة والأوليات الدلالية وعلاقتها بصياغة التصورات والبنية الذهنية التي تنعكس على مستوى المعجم والتواصل.

المراجع

- أبو محمد الأزدي الصحاري، كتاب الماء، المحقق: هادي حسن حمودي، وزارة التراث والثقافة، عمان، 2015.
- أمل بن إدريس العلمي، «الاصطلاح الطبي من التراث إلى المعاصرة»، مجلة اللسان العربي، العدد 3، يونيو 1997.
- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الملك سعود، 1991.
- زهر الدين رحماني، «إشكالات المصطلح في المعجم العلمي العربي»، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، 2017.